مصطلح الجاهلية تاريخه وخطره على المجتمع

سيد قطب أنموذجًا

إعداد الدكتور:
علي محمد حسن علي
مدرس بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

الملخص

يتناول الباحث في هذه الدراسة: نظرية الشيخ سيد قطب في مفهوم الجاهلية، والقول بالحاكمية، وغرض الباحث من هذه الدراسة هو: إزالة اللثام عما قد يتخذه بعض المغرضين مطعنًا للتشكيك في وسطية الإسلام الحنيف؛ إذ يربطون بين تلك الأفكار وبين الدين وأهله، وهو من تلك الشبهات براء.

وبعد أن عرض الباحث لمصطلح الجاهلية عند الشيخ سيد قطب، وبيّن أثر هذه النظرية القطبية على الفرق والجماعات التكفيرية، توصل إلى عدة نتائج من أهمها: أن الجاهلية هي فترة زمنية معينة، ويراد بها الجاهلية قبل الإسلام، وأمَّا سيد قطب فيصرح بأن الجاهلية ليست فترة زمنية معينة، وإنما حالة اجتماعية معينة ذات تصور معين للحياة لا علاقة له بزمان أو مكان، أن الجاهلية انتقلت من مجرد فكرة عند سيد قطب ليعممها على المجتمع كله مخالفًا جمهور المفسرين وعلماء الأمة، أن الجاهلية لا تتعلق بمفهوم الحكم بغير ما أنزل الله، وإنما تختص بإنكار شرع الله وعدم قبوله، أن هناك بعض المفاهيم الملتبسة على بعض المسلمين يتخذها التكفيريون ذريعةً لارتكاب أعمال العنف والإرهاب، ومنها مفهوم الحاكمية، أن "النظرية القطبية" يترتب عليها: تكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي، أن مصطلح الجاهلية القطبية لم يلق قبولًا عند كثيرين من علماء السلفية والإخوان، وذلك لمخالفته صريح القرآن، وصحيح السنة.

The Concept of *Jahileya* (The Era before Islam):
Its History and Perils on the society
Sayed Kotb; a Model

By: Dr. Ali Mohammed Hassan Ali
Lecturer in Creed and Philosophy
Faculty of Usoul Al-deen & Dawah in Zagazig

Abstract

This research tackles Sayed Kotb's theory of the concept *Jahileya* and the interpretation of governorship. The purpose of the study is to unveil the suspicious points which may be exploited by the tendentious who doubt the averageness of the true religion of Islam since the tendentious always connect those ideas to the religion and its followers; something is nonsensical.

After the researcher has expounded the concept of *Jahileya* for Sayed Kotb, he displayed its impact upon the groups and sects that judge people with disbelief. Next, the research reached some results; the most important of which are the following ones. First, *Jahileya* is a certain era before Islam but Sayed Kot sees that the concept of *Jahileya* does not mean that instead it means a certain social status which has its image of life regardless of time or space. *Jahileya* has changed from being just an idea with Sayed Kotb into a concept that includes all the society in contrast to what the public of interpreters and scholars identified that *Jahileya* is not related to utilizing mundane laws; not revealed by Allah. Nevertheless, it means disobeying the acts of jurisprudence. Second, there are some confusing concepts for Muslims so that the tendentious exploit these concepts to commit violent and terrorist actions. The concept of governorship is one of those concepts. Third, the "Kotbian Theory" accordingly implies accusing the society of disbelief and retarding the call for establishing an Islamic discipline. The Kotbian *Jahileya* is not approved by a lot of Sunnah scholars and Muslim brothers for its apparent contrast with the True meaning of Qur'an and Sunnah.

Key words: Jahileya, Sayed Kotb, governorship, Kotbianism

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد العالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد،،،

فإن الإسلام الحنيف نهى عن التشدد والمغالاة، ورمي المجتمعات بالتكفير، قال الله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[2]. وكيف يقبل دين الإسلام أي مظهر من مظاهر التشدد والغلو والتكفير، بل كيف يعرف مثل هذا؟!

وهو دين الوسطية، فلا يعرف للتشدد طريقًا، ولا للغلو سبيلًا، بل دينٌ سمحٌ وسطٌ، لا إفراط فيه ولا تفريط، يقول الحكيم الخبير في كتابه العزيز: (وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)[3].

دينٌ جوهره الرحمة، ورسالته الهداية، وهدفه الفوز والنجاة في الدنيا الآخرة للناس كافة؛ للمسلمين وغير المسلمين، للعرب والعجم، للأبيض والأحمر، قال تعالى ذكره مخاطبًا نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: (وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ)[4]، وقال جل وعز في شأن ما أنزله على رسول الإسلام: (وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى

(١) سورة النساء، من الآية (١٧٠).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، كتاب: المناسك، باب: من أين ترمى جمرة العقبة، (جـ٤، صـ٢٢٨)، حديث(٣٠٢٩). قال الشيخ "شعيب الأرناؤوط": "إسناده صحيح".

(٣) سورة البقرة، من الآية (١٤٣).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

لِلْمُسْلِمِينَ)[1].

فكيف لدينٍ؛ هذا رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا كتابه "القرآن" يكون أهله وأتباعه متهمين بالغلو، والتشدد، والتكفير؟! هذا ما لا يقول به منصف أوتي مسكة من عقل، أو شيئًا من فهم، أو قدرًا من تجرد.

فلذلك وغيره؛ أردت أن أتناول بالبحث والدراسة: "النظرية القطبية"، و"مفهوم الجاهلية"، والقول ب "الحاكمية" ونحو ذلك؛ لأزيل اللثام عما قد يتخذه بعض المغرضين مطعنًا للتشكيك في وسطية الإسلام الحنيف؛ إذ يربطون بين تلك الأفكار وبين الدين وأهله، وهو من تلك الشبهات براء.

(١) سورة النحل، من الآية (٨٩).

فروض البحث:

ما المقصود بالجاهلية؟

لماذا عمم (سيد قطب) مصطلح الجاهلية على المجتمعات؟

ما الأثر المترتب على إطلاق (سيد قطب) لمصطلح الجاهلية، وبخاصة في الفرق التكفيرية؟

ما موقف السلفية المعاصرة، والإخوان المسلمين تجاه آراء (سيد قطب) وأفكاره؟

كيف تصدى علماء الأزهر الشريف لنقد النظرية القطبية؟

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتضمن ثلاثة مباحث:

•المبحث الأول: مفهوم الجاهلية، والتعريف بلفظة "الجاهلية" في اللغة والاصطلاح.

•المبحث الثاني: تاريخ مصطلح الجاهلية، ومراحل تطوره.

•المبحث الثالث: مصطلح الجاهلية في ميزان النقد، وبيان موقف الأزهر الشريف، والسلفية المعاصرة، والإخوان المسلمين من نظرية "الجاهلية القطبية".

•الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي يمكن من خلالها هدم نظرية "الجاهلية القطبية"، وتوضيح خطورة "مفهوم الجاهلية" عند سيد قطب ومن تبعه.

المبحث الأول:

مفهـــوم الجاهليـــة

والتعريف بلفظة "الجاهلية" في اللغة والاصطلاح.

إن مفهوم الجاهلية عند (سيد قطب) نراه يفصح عنه في كتابه (في ظـلال القـرآن) فيقـول: "الجاهلية – كما يصفها اللهّ ويحددها قرآنه – هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبوديـة البشر للبشر، والخروج من عبوديـة اللهّ، ورفـض ألوهيـة اللهّ، والاعـتراف في مقابـل هـذا الـرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون اللهّ"(١).

وهو بهذا المفهوم يضرب في أعماق الإنسانية كلها ويرمي بها الجميع، ولقد عول خاصة على المسلمين، ولاسيما الذين يحكمـون بالأحكـام الوضـعية، وفهـم قـول الله تعـالى :{ أَفَحُكْـمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِّ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(سورة المائدة: آية ٥٠)، على غير مراد الله تعالى، وبدأ يُنظر لمسألة أو معتقد برز في جل تفسيره وفي معالم طريقـه، فقـال معلقًـا عـلى الآية :"والناس – في أي زمان وفي أي مكان – إما أنهم يحكمون بشريعة اللهّ – دون فتنة عـن بعض منها – ويقبلونها ويسلمون بها تسليمًا، فهم إذن في دين اللهّ.

وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر – في أي صورة من الصور – ويقبلونها فهـم إذًا في جاهلية وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسـوا بحـال في ديـن اللهّ، والـذي لا يبتغـي حكم اللهّ يبتغي حكم الجاهلية والذي يرفض شريعة اللهّ يقبـل شريعـة الجاهليـة، ويعـيش في

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب إبراهيم ـ دار النشر : دار الشروق ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ـ جـ ١ ـ صـ ١٨٢٢.

الجاهلية، وهذا مفرق الطريق، يوقف اللهّ الناس عليه، وهم بعد ذلك بالخيار! ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية وسؤال تقرير لأفضلية حكم اللهّ"[1].

ففهم (قطب) أن الحكم بغير شرع الله هو مناط الجاهلية كما ساق تعليقه على آية سورة المائدة، والحق أنه لحقه هنا عدة أمور خلط بينها، وهي على النحو التالي:

أولًا: قوله إن الجاهلية هي الحكم بغير شرع الله، أو حكم الشعب للشعب.

ثانيًا : الخروج من عبودية الله تعالى.

ثالثًا : رفض عبودية الله، رابعًا : الاعتراف بعبودية البشر.

وهذه الأمور وفقًا لما ذكره (سيد قطب) في تعريفه للجاهلية، وهذا يعني أنه خلط بين عبادة الله وتصديقه، وبين عبادة البشر وتقديسهم لجنسهم، وهذا أمر يعد خارجًا عن آليات العلم، وخلطًا غير مقبول، فإن عُباد البشر لا يقرون بألوهية الله تعالى، ولو أقروا لما عبدوا بشرًا من دونه.

وإن المتتبع لهذا المنهج (القطبي) يجد أنه لم يكن منصفًا في تعريفه للجاهلية، ويمكن الرد عليه من خلال ما ذكرته معاجم اللغة.

تعريف الجاهلية لغة: لفظة الجاهلية مشتقة من الجهل، وهي في حقيقتها نقيضة العلم، وجَهَّلْته نَسَبته إِلى الجَهْل، واسْتَجْهَلْتُه: وَجَدْتُهُ جاهِلًا وأَجْهَلْته: جَعَلْته جاهِلًا، ..وهي زمن

(١) فى ظلال القرآن ـ سيد قطب إبراهيم ـ جـ ١ ـ صـ ١٨٢٢.

الفترة ولا إسلام[1].

تعريف الجاهلية اصطلاحًا: الْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛ مِنَ الجَهْـلِ بِـ اللهَّ ورَسُوله وَشَرَائِعِ الدِّين، والمفاخَرة بِالْأَنْسَابِ والكِبْرِ والتَّجَبُّر وَغَيْرِ ذَلِكَ[2].

وبذلك نجد أن المقصود بمصطلح الجاهلية ما كان في الفترة قبل الإسلام، وليس المراد مـا فهمه (سيد قطب) ودلل عليه بالآية السابقة، إذن نفهم من هذا أن (سيد قطب) بنـى نظريتـه في (الجاهلية) على السياسة المحيطة به، ولم يبنها على أسس علمية مخالفًا بذلك ما ذكـره علـماء التفسير وأرباب اللغة.

مقارنة بين المفسرين وسيد قطب في فهم الآيات القرآنية التي احتوت على لفظة (الجاهلية).

ولو أردنا أن نلقي نظرة على مفهوم الجاهلية في القرآن ونظرة علماء التفسير لها لاتضح لنا مـا يلي، أن لفظة الجاهلية وردت في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي:

١ـ الموضع الأول: قال تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَـى طَائِفَـةً مِـنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهَّ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِـنَ الْأَمْـرِ مِـنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ للهَّ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْـتَلِيَ اللهَّ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهَّ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (سورة آل عمـران: آيـة ١٥٤)، والمراد من الجاهلية في هذا الموضع لا يخرج عن احتمالين، هما:

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ـ جـ ١١ ـ صـ ١٢٩ ـ ١٣٠، فصل (الجيم) مادة (جهل)، وراجع مختار الصحاح ـ للرازي ـ صـ ٣٦، باب (الجيم) مادة (جهل).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير ـ جـ ١ ـ صـ ٣٢٣.

الأول: أنها الجاهلية التي كانت قبل الإسلام، وهو رأي جمهور المفسرين.

الثاني: أن المراد بظن الجاهلية، أي: الفرقة أو الملة الجاهلية؛ إشارةً إلى أبي سفيان ومن معه، وهو قول بعض المفسرين(١).

وللحق: فلم يخرج قطب في هذا الموضع عمَّا قال به أهلُ التفسير(٢).

٢ـ الموضع الثاني: قال عزَّ وجلَّ: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (سورة المائدة: آية ٥٠).

وبالرجوع إلى كتب التفسير؛ نجد أن كلمة المفسرين تكاد تتطابق في كون الآية قد نزلت في اليهود من بني قريظة وبني النضير، وما يجري بينهما من تفاوتٍ في الديات وأروش الجنايات، وكيف أنهم لم يرضوا بحكم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيهم، وهو حكم الله تعالى الموافق لما في التوراة، فبالرغم من أنهم أهل كتاب إلا أنهم يبغون ويميلون إلى حكم الجاهلية التي هي محض جهل، واتباع هوى، ويتركون كتاب الله الذي فيه بيان حقيقة الحكم؛ إذ هو الحق الذي لا ريب فيه. فالمراد بالجاهلية: الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى، واتباع أحكام عبَدة الأوثان من أهل الشرك(٣).

(١) يراجع: تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن ـ جـ ٧ ـ صـ٣٢١، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ـ جـ ١ ـ صـ ٥٢٥، وتفسير ابن عطية ـ جـ١ ـ صـ ٥٢٨، وتفسير الرازي = مفاتيح الغيب ـ الفخر الرازي ـ جـ ٩ ـ صـ ٣٩٥، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ـ جـ ٣ ـ صـ ٣٩٢.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ـ جـ١ ـ صـ٤٩٦.

(٣) راجع: تفسير الطبري = جامع البيان ـ جـ١٠ ـ صـ ٣٩٤، وتفسير الرازي = مفاتيح الغيب ـ جـ١٢ ـ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

وأمَّا قطب؛ فنجده ينحى بالنص منحىً وحيدًا يحدد من خلاله معنى الجاهلية، وأنها ليست فترةً زمنيةً، فالجاهلية مناقضة للإسلام، فإمَّا دين وإما كفر، وإما حكم الله تعالى وإما حكم الجاهلية، والناس في أي عصر أو مصر: إما يحكمون بشرع الله فهم في دينه، وإما يحكمون بشريعة غير شريعة الله تعالى؛ فهم في جاهلية، ويتبعون دين من يحكمون بشريعته؛ إذ من يرفض شريعة الله عنده، فهو معتقدٌ لشريعة الجاهلية.

ومن ثم فإنه يحصر الحياة بين طريقين: إما حكم الله تعالى، وإما حكم الجاهلية؛ فلا ثالث لهما، ولا وسط بينهما ولا بديل(١).

الموضع الثالث: قال سبحانه وتعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (سورة الأحزاب: آية٣٣).

وبمطالعة كتب التفسير؛ نجد أن المقصود من الجاهلية الأولى فترة زمنية معينة يدور فيها الكلام حول أربعة معانٍ، هي:

١ـ أن الجاهلية الأولى كانت بين إدريس ونوح؛ فتكون الجاهلية الآخرة: ما بين عيسى ومحمد عليهم السلام.

صـ ٣٧٤، وتفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ جـ٢ ـ صـ ٢٠٣، وزاد المسير في علم التفسير ـ ابن الجوزي ـ جـ ١ـ صـ ٥٥٧، وتفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ جـ ٢ ـ صـ١٣٠، والبحر المحيط في التفسير ـ جـ٤ ـ صـ ٢٨٧، والتحرير والتنوير ـ الطاهر بن عاشور ـ جـ ٦ ـ صـ ٢٢٧.

(١) يراجع: في ظلال القرآن ـ جـ٢ ـ صـ ٩٠٤.

٢ـ أنها كانت على عهد إبراهيم عليه السلام.

٣ـ أنها كانت بين آدم ونوح؛ فتكون الجاهلية الآخرة: ما بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

٤ـ أنها كانت ما بين عيسى ومحمدٍ عليهما السلام.

فإذا وقعت الجاهلية الأولى في زمنٍ من الأزمنة التي شملتها الأقوال الأربعة السابقة؛ كانت الجاهلية الأخرى فيمن كان بعده.

أو أن تقييد الجاهلية بالأولى لا يستلزم وجود جاهليةٍ أخرى، بل المعنى الجاهلية القديمة؛ لأن كل متقدم أول، فتأويله: أنهم تقدموا أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أو المراد بالجاهلية الأولى: جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى: جاهلية الفسوق في الإسلام(١).

وأمَّا قطب؛ فنراه قد خالف جمهور المفسرين؛ مصرحًا ـ بكل حسمٍ ـ أن الجاهلية ليست فترة زمنية معينة، وإنما حالة اجتماعية معينة ذات تصور معين للحياة لا علاقة له بزمان أو مكان، بل إذا وجدت تلك الحالة، وذاك التصور؛ كان دليلًا على وجود الجاهلية حيث كان، ومتى كان.

ثم نراه في نصه الغاضب يسقط تلك المعاني على عصره الذي كان يعيش فيه، واصفًا إياه

(١) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ـ جـ٢٠ ـ صـ ٢٦١، وتفسير البغوي = معالم التنزيل ـ جـ ٣ ـ صـ ٦٣٦، وتفسير ابن عطية ـ جـ ٤ ـ صـ ٣٨٤، وزاد المسير في علم التفسير ـ جـ ٣ ـ صـ ٤٦١، وتفسير البيضاوي ـ جـ٤ ـ صـ ٢٣١، والبحر المحيط في التفسير ـ جـ ٨ ـ صـ ٤٧٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٦ ـ صـ ٣٦٤، والتحرير والتنوير ـ جـ٢٢ ـ صـ ١٣.

بالمجتمع الجاهلي، حيوانيّ التصور الذي انحدر إلى الحضيض، ويرى أنه لا يمكن لمثل هذا المجتمع أن يحيا في طهارة دونما التخلص من رجس الجاهلية التي يحياها، فيقول:

"وبهذا المقياس نجد أننا نعيش الآن في فترة جاهلية عمياء، غليظة الحس، حيوانية التصور، هابطة في درك البشرية إلى حضيض مهين، وندرك أنه لا طهارة ولا زكاة ولا بركة في مجتمع يحيا هذه الحياة، ولا يأخذ بوسائل التطهر والنظافة التي جعلها الله سبيل البشرية إلى التطهر من الرجس، والتخلص من الجاهلية الأولى"(١).

الموضع الرابع: قال عزَّ شأنه: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}، (سورة الفتح، آية: ٢٦).

وبالنظر في أقوال المفسرين عند تفسير قوله تعالى: "حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ"(٢)؛ يتضح لنا أن المراد بها: أنفتهم عن الإقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة، والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم، وأيضًا حالوا بين المسلمين وبين البيت(٣).

---

(١) في ظلال القرآن ـ جـ٥ ـ صـ٢٨٦١.

(٢) قال ابن عاشور : "وإضافة الحمية إلى الجاهلية: لقصد تحقيرها وتشنيعها؛ فإنها من خلق أهل الجاهلية؛ فإن ذلك انتساب ذم في اصطلاح القرآن، كقوله: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) [آل عمران: ١٥٤] وقوله: (أفحكم الجاهلية يبغون) [المائدة: ٥٠]"، التحرير والتنوير ـ جـ٢٦ ـ صـ ١٩٤.

(٣) ورد في صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ـ جـ ٣ ـ صـ ١٩٧، حديث رقم (٢٧٣١). "..... وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيّ اللهِ، وَلَمْ يُقِرّوا بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ".

وكانت حمية جاهلية؛ لأنها بغير حجة وفي غير موضعها، وإنما ذلك محض تعصب؛ لأنه صلى الله عليه وسلم إنما جاء معظمًا للبيت لا يريد حربًا(١).

وللإنصاف: فلم يخرج قطب في هذا الموضع عما ذكره المفسرون في هذه الآية؛ إذ قال: "حمية لا لعقيدة ولا لمنهج، إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر والتعنت ..... وقد جعل الله الحمية في نفوسهم على هذا النحو الجاهلي؛ لما يعلمه في نفوسهم من جفوة عن الحق والخضوع له، فأما المؤمنون فحماهم من هذه الحمية"(٢).

وقفة مع مصطلح "الجاهلية" عند (سيد قطب)، ومناقشة هادئة لأفكاره وآرائه التي بُنيت عليها "النظرية القطبية":

إن مَن نادى بهذا المصطلح في مجتمعنا المعاصر كان (سيد قطب) وتبعه في ذلك خلق كثير من الجماعات التكفيرية اعتمادًا على كتبه، ويمكن أن تُجتثَ هذه النظرية التي تبناها من خلال ما يلي:

أولًا ـ أنه رمى المجتمع بالجاهلية لكون المجتمعات لم تحكم بالشرع، أو لم تجعل الحاكمية لله، وهذا كلام مردود عليه، من عدة وجوه:

أ ـ أن (النجاشي) ملك الحبشة كان نصرانيًا ودخل في الإسلام ومع ذلك لم يحكم بالشريعة، ولم يكفره النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يرمه الصحابة بالجاهلية.

ب ـ أن معظم دساتير الدول العربية تقوم على أن الإسلام دين الدولة، وكذا مبادئ الشريعة هي مصدر التشريع، على سبيل المثال:

---

(١) يراجع: تفسير الطبري = جامع البيان ـ جـ٢٢ ـ صـ ٢٥٢، ومعالم التنزيل ـ جـ ٤ ـ صـ ٢٤٢، والبحر المحيط لأبي حيان ـ جـ ٩ ـ صـ ٤٩٧.

(٢) في ظلال القرآن ـ جـ٦ ـ صـ ٣٣٢٩.

الدستور المصري في مادته الثانية: الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، ونصت المادة (٢/ ٣) من الدستور السوري العام ١٩٧٣ على أن (الفقه الإسلامي مصدر رئيس للتشريع) ونصت المادة (٢) من الدستور البحريني لعام ٢٠٠٢ على (دين الدولة الإسلام والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع)، وغيرها الكثير من الدول العربية.

جـ ـ أن الآيات الواردة في سورة المائدة نزلت في اليهود، كما بينَّا آنفًا.

ثانيًا: أن الجاهلية تقتصر على الذين كانوا يعبدون الأصنام، فهي إذن فترة خاصة أو حقبة زمنية كانت قبل الإسلام قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ثالثًا: أن (سيد قطب) لو تتبعنا آراءه وأفكاره؛ لوجدناه قد تمثلت فيه الجاهلية وليس غيره، وذلك بناءً على الحديث السابق "عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، سبق تخريجه.

رابعًا: أن رمي الآخر بالكفر لا يجوز إلا بدليل، ولما كان (سيد قطب) قد عجز عن ذكر الدليل فإنه قد يعود الرمي بالكفر عليه كما مر بيانه.

خامسًا: أن (سيد قطب) لم يكن متخصصًا في مسائل الفقه أو الشريعة، وبشهادة الإخوان أنفسهم أنه كان أديبًا فكيف يرمي المجتمع كله بالجاهلية دون استثناء حتى؟.

سادسًا: لا ننكر أن الإنسان قد يأتي بأعمال الجاهلية، مثل الاعتقاد في السحرة والكهنة وشق الجيوب ولطم الخدود، لكن هذه الأمور لا تخرجه من الملة كما يقصد (سيد قطب) ومن تبعه.

سابعًا: ترتب على نظرية (سيد قطب) (الجاهلية) رمي المجتمعات جميعًا بالكفر، وتحريم

الصلاة في مساجد المجتمعات، والدعوة للخروج على الحكام، فهل هذا من الدين في شيء؟.

ثامنًا: ترتب على (نظرية سيد قطب) انحراف شباب الجماعات الإسلامية وخاصة أنه يُعد المُنظر الأول لأفكارهم كما صرح غير واحد من الجماعات التكفيرية مثل (عبدالله عزام)، و (أيمن الظواهري) وغيرهم.

المبحث الثاني:

تاريخ مصطلح الجاهلية، ومراحل تطوره.

تطور مصطلح الجاهلية بعد قرون عديدة من انتقال سيدنا النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى؛ ويمكن أن نذكر أهم القائلين به فيما يلي:

١ـ ابن تيمية: قسم (ابن تيمية) الجاهلية إلى قسمين وفرق بينهما:

أولًا: الجاهلية العامة أو المطلقة: فإنه بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار؛ وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم، فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام.

ثانيًا: الجاهلية المقيدة: فقد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص، المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية»(١)، وقال لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب التشديد في النياحة ـ جـ ٢ ـ صـ ٦٤٤ ـ حديث رقم ٩٣٤، والحديث مروي عن مالك الأشعري ونصه :"أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ " وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ".

جاهلية»[1] ونحو ذلك[2].

والحق أن (ابن تيمية) قد قال بأن الجاهلية هي التي تكون قبل الإسلام؛ أو قبل بعثة الرسل، ثم الجاهلية المقيدة التي يراد بها فعل جملة من أمور الجاهلية قديمًا كالتفاخر بالأنساب، وكالنياحة على الميت، والطعن في الأنساب....، وهذا أمر لا يكون إلا في جاهلية، فإن تعاليم الشرع الحنيف لا يقر هذه الأمور الجاهلية وتنادي بضرورة التحلي بالأخلاق الحسنة.

٢ ـ محمد بن عبدالوهاب النجدي: بدأ ينظر لمسألة الجاهلية فألف كتيبًا بعنوان (مسائل الجاهلية) وقد أوصل مسائله هذه إلى مائة وثلاثين مسألة، فقال في نهاية المسائل :" الثانية والعشرون بعد المائة: والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والعشرون، وتمام الثلاثين، والواحدة والثلاثون بعد المائة: العيافة، والطرق، والطيرة، والكهانة، والتحكم إلى الطاغوت، وكراهة التزويج بين العيدين. والله أعلم، فجعل

(١) أخرجه مسلم البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ بَابُ المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ ـ جـ ١ ـ صـ ١٥ ـ حديث رقم ٣٠، والحديث مروي عن أبي ذر الغفاري ونصه عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»، وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ ـ جـ ٣ ـ صـ ١٢٨٢ ـ حديث رقم ١٦٦١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ـ ابن تيمية ـ جـ ١ ـ صـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

الأحكام الوضعية من أمور الجهالة كما هو موضح في نص كلامه، وقد أسهب كثيرًا في المسائل، ولقد قدم بعض الأمور التي ربما تكون عند أغلب المسلمين على التكذيب بالرسل واليوم الآخر، فقد ذكر في المسألة الحادية والتسعين ذكر (الافتخار بالأنساب)، في المسألة التاسعة والتسعين (عظمة الدنيا في قلوبهم)، ثم في المسألة الثلاثة بعد المائة ذكر (الكفر بالملائكة)، ثم الرابعة بعد المائة (الكفر بالرسل)، ثم الخامسة بعد المائة (الكفر بالكتب)، أما كان الترتيب يقتضي أولًا في المسألة الأولى (الكفر بالله) ثم باقي أركان العقيدة الإسلامية، ثم علق على مسائل (ابن عبدالوهاب) وشرحها (محمود شكري الألوسي) في كتابه (فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله) وفيه لم يتحدث عن التحاكم للطاغوت فقال:"والتَّحاكُمُ إلى الطَّاغوتِ، ونحو ذَلِكَ. وَقَدْ تكَلَّمْنا على هذِهِ الأمورِ في كتابِنا "بُلوغُ الأرَبِ في أحوالِ العَرَبِ " بِمَا لا مَزيدَ عَلَيْهِ"(١).

ولقد زعم (محب الدين الخطيب) في تعليقه على كتاب (مسائل الجاهلية) أن (محمد بن عبد الوهاب) جاء ليعلن الحرب على الجاهلية التي عمت البلاد؛ وأصبحت جرثومة ظاهرة، وكأننا في مجتمع الشرك قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا نص كلام (محب الدين الخطيب): "ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجل عظيم لا يزال حقه على المسلمين مهضومًا فيهم، وأعني به الرجل المصلح، داعية العرب والمسلمين للرجوع إلى فطرة الإسلام الأولى،

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ـ محمود شكري الألوسي ـ تقديم وتعليق: محب الدين الخطيب ـ جـ ٢ ـ صـ ٢٩٩.

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف أصل هذا الكتاب، هذا الرجل نظر فيما عليه سكان جزيرة العرب في زمنه فرآهم في حالة سوء: العصبية الجاهلية كالتي نهى عنها هادي البشر (محمد) صلى الله عليه وسلم، ودعاء غير الله كالذي جاء صلى الله عليه وسلم لاستئصال جرثومته، والاحتيال بمختلف الأسباب للابتعاد عن الحق والهدى كالذي كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، ثم التقاطع والتفرق، والتواصي بالباطل دون الحق، والاعتداء على حق الغير، والعطالة، والكسل، والخرافات والأوهام، والضغينة، والفوضى، والقذارة، والمكر، والخداع، وعدم الانقياد للنظام بحيث كان كل رجل أمة وحده. هذه أمراض رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودة في قومه وفي بلاده، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الإنسانية من هذه الشوائب، فقال في نفسه: - إذن نحن في مثل ما كان عليه أهل الجاهلية!، حينئذ عاهد ربه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض، وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله وسنة رسوله، قلت إنه كان رجلًا عظيمًا، لأنه ثبت في جهاده إلى أن لقي ربه، فحول الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها إلى أمة تقيم الصلاة ساعة الدعوة إليها، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها"[1].

ومن خلال هذا النص السابق يتضح مدى الانحراف في الحكم على جميع المجتمع - التعميم – بأنه مجتمع جاهلي، وإلا فمن الذي استباح الخروج على السلطان العثماني بالسيف، والرجل لم يمنع إقامة الصلاة في بلاد الحرمين، فضلًا عن وقوع قتلى من الطرفين.

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ـ محمود شكري الألوسي ـ تقديم وتعليق: محب الدين الخطيب ـ جـ ٢ ـ صـ ٢٩٩.

٣ـ أبو الأعلى المودودي: ولقد جعل نظام المجتمعات عنده عبارة عن أربعة أمور من الجاهلية هي:

الأمر الأول : الجاهلية المحضة: ويقصد بها أن نظام العالم كله حادث قد حدث مصادفة دون تقدير، فليس من وراءه حكمة أو غاية.

الأمر الثاني : جاهلية الشرك : الكون لم يقم بدون إله، وما وجد مصادفة، له إله، لكن الإله ليس واحدًا، بل آلهة متعددة.

الأمر الثالث: جاهلية الرهبانية وصورها بالإنسان الأسير أو المسجون نتيجة ملذاته ورغباته، فهذه الملذات نتيجة لتعلق الإنسان بالدنيا وما فيها من رجس، ولا سبيل لنجاة المرء إلا أن ينقطع عن مشاغل الدنيا وملذاتها.

الأمر الرابع : الإسلام : وهذا الدين الذي يقر بأن الكون كله هو في حقيقته ملك للمليك المقتدر، وهو المالك الوحيد مدبر الأمر، حاكم فرد بلا شريك"[1].

ويحاول (المودودي) أن يشرح هذه الأنواع الأربعة، فيقول: "فأما الجاهلية المحضة: فعمدت إلى الدولة والحكومة فهيمنت عليها وانقلبت الخلافة قيصرية جـ اء الإسلام يقطع دابرها، ولم يبق من الخلافة إلا اسمها، وتبوأ الملوك والأمراء منزلة المطاع المطلق التي هي خاصة للإله، واسترسل الأمراء والحكام والولاة ورجال الجيش والمترفون إلى الجاهلية المحضة في ظل هذه الملكية، وتأثرت حياتهم بوجهة نظرها وفسدت أخلاقهم ومعيشتهم

(١) موجز تاريخ الدين وإحيائه ـ أبو الأعلى المودودي ـ ترجمة : محمد كاظم سياق ـ صـ ١٨ ـ ٢٨ بتصرف واختصار.

بعاهتها، وكان من الطبيعي أن يصحب ذلك كله رواج فلسفة الجاهلية وآدابها وفنونها"[١].

جاهلية الشرك: "ويفسرها (المودودي) بأنها تتمثل في المسلمين وإن بقوا على إسلامهم لكنهم قد ألقي عليهم شبه الوثنية الأولى"[٢].

جاهلية الرهبانية: ويقصد بها علماء المسلمين، فيقول: "ومن جراء هذه الجاهلية فشا في المجتمع الإسلامي ما فشا من الفلسفة الإشراقية ونظام الأخلاق الرهباني، ثم شد أزر نظام الملكية الجاهلية وضرب العلوم والفنون الإسلامية بالعقم والجمود وضيق النظر وجاء يحصر جماع الدين في عدد من الأعمال الدينية المعينة"[٣].

ومما سبق يتضح أن (المودودي) قد جعل المجتمعات كلها مجتمعات جاهلية، وأن الأمة منذ ظهور الإسلام حتى الآن لم تقدم جديدًا حتى طعنه في حكام المسلمين ولم يسلم منه إلا الخلفاء الأربعة، وإن كان قد أفصح في كتابه (الخلافة والملك) بما نصه :"غير أن سيدنا عثمان رضي الله عنه حين خلفه أخذ يحيد عن هذه السياسة رويدًا رويدًا فطفق يعهد إلى أقربائه بالمناصب الكبرى ويخصهم بامتيازات أخرى اعترض الناس عليها عامة"[٤].

إن (المودودي) يُعدُ هو المنظر الثاني بعد (محمد بن عبدالوهاب) في إرساء قواعد مصطلح الجاهلية، وتعميم الحكم على الجميع دون دليل.

٤ـ سيد قطب: لقد تلقف هذه النظرية -أعني الجاهلية-؛ ليصوغها في ثوب جديد جعل

(١) موجز تاريخ الدين وإحيائه ـ أبو الأعلى المودودي صـ ٤٦ باختصار.

(٢) موجز تاريخ الدين وإحيائه ـ أبو الأعلى المودودي ـ صـ ٤٧ باختصار.

(٣) موجز تاريخ الدين وإحيائه ـ أبو الأعلى المودودي ـ صـ ٤٨ ـ ٤٩ باختصار.

(٤) الخلافة والملك ـ أبو الأعلى المودودي ـ ترجمة : أحمد إدريس ـ صـ ٦٤.

منه شعارًا جديدًا يقوم على مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، فضرب بهذا المصطلح البلاد والعباد، ويمكن أن نذكر دلائل رمي المجتمعات بالجاهلية عند (سيد قطب) فيما يلي:

أولًا: تفضيله المجتمع الوثني الذي كان فيه (أبو جهل) على المجتمعات الحالية، فيقول (سيد قطب) في الظلال :"إنما كان شركهم الحقيقي يتمثل ابتداء في تلقي منهج حياتهم وشرائعهم من غير اللهّ، الذي يعرفونه ويعترفون به على هذا النحو .. الأمر الذي يشاركهم فيه اليوم أقوام يظنون أنهم مسلمون – على دين محمد – كما كان المشركون يظنون أنهم مهتدون على دين أبيهم إبراهيم"[1].

ثانيًا : رمي المجتمعات بالكفر؛ إذ يرى (سيد قطب) أنه ليس هناك أي مجتمع يمكن أن يكون مسلمًا مهما كان حتى لو أقر بالشهادتين وأدى الشعائر التعبدية، يقول (سيد قطب) :" (يدخلُ في إطارِ المجتمعِ الجاهليِّ تلكَ المُجتمعاتُ التي تزعمُ لنفسِها أنها مسلمة، لا لأنها تعتقدُ بألوهيةِ أحدٍ غيرِ الله، ولا لأنها تُقدِّمُ الشعائرَ التَّعَبُّديةَ لغيرِ الله، ولكنَّها تدخلُ في هذا الإطار؛ لأنها لا تَدينُ بالعبوديةِ لله وحدَهُ في نظامِ حياتِها. فهي وإنْ لم تعتقد بألوهيةِ أحدٍ إلا الله؛ تُعطي أخصَّ خصائصِ الألوهيةِ لغيرِ الله، فتدينُ بحاكميةِ غيرِ الله، فتتلقى مِن هذه الحاكميةِ نِظامَها، وشرائعَها وقيمَها، وموازينَها، وعاداتِها وتقاليدَها، وكل مقومات حياتها تقريبًا[2].

وخلاصة هذا النص في فكر واعتقاد (سيد قطب) يزعم أن موقفَ الإسلامِ من هذه

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ جـ ١ ـ صـ ٢٠٨.

(٢) معالم في الطريق ـ سيد قطب ـ صـ ٩١ ـ ٩٢.

المجتمعاتِ الجاهليةِ كلها يتحدد في عبارةٍ واحدة: أنْ يرفض الاعتراف بإسلاميةِ هذه المجتمعات كلِّها، نظرًا لعدم قناعته بأنها دول إسلامية، وأن الذين يعيشون بين جنباتها هم من المسلمين، حتى الدول التي تطبق الشريعة عنده كبلاد الحرمين لم تسلم منه.

ثالثًا : جعل مسألة الحاكمية هي الأصل، وقد رمى كل من حكم بالقوانين الوضعية بالجاهلية، بل وبالخروج من الملة، يقول (سيد قطب) :"لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان؛ ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن : «لا إله إلا الله»؛ دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية « الحاكمية » التي يدعيها العباد لأنفسهم – وهي مرادف الألوهية – سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب .فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية، إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء، البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات : « لا إله إلا الله » بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد – من بعدما تبين لهم الهدى – ومن بعد أن كانوا في دين الله! فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلًا أمام هذه الآيات البينات"[1].

رابعًا: رميه المجتمع بالجاهلية والشرك بسبب ملابس المسلمين نظرًا لفهمه الخاص

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ جـ ٢ ـ صـ ١٠٥٧.

للقرآن الكريم، فهو يرى أن ارتداء الملابس الحديثة ومواكبة التحضر -الموضة- يُعدُ جاهلية شركية، فيقول ما نصه عند تفسيره لقول الله تعالى :{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦]، قال (سيد قطب) :"وهناك الشركُ الواضح الظاهر؛ وهو الدينونة لغير الله في شؤونِ الحياة، والدينونةُ في شرعٍ يتحاكمُ إليه وهو نصٌّ في الشركِ لا يُجادلُ عليه، والدينونة في تقليدٍ من التقاليد كاتخاذ أعيادٍ ومواسمَ يشرعُها الناس ولم يَشْرَعها الله، والدينونةُ في زيٍّ من الأزياء يخالفُ ما أمر الله به من التستُّر ويكشف أو يحدد العورات التي نصَّت شريعةُ الله أن تُستر"(١).

وفي موضع آخر قال في (معالمه) :"والمسألة في حقيقتها مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد، مسألة جاهلية وإسلام، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحًا، إنَّ الناس ليسوا مسلمين كما يدَّعون، وهم يحيون حياة الجاهلية، وإذا كان فيهم من يريد أن يخدع نفسه، أو يخدع الآخرين، فيعتقد أنَّ الإسلام ممكن أن يستقيم مع هذه الجاهلية، فله ذلك، ولكن انخداعه أو خداعه لا يغيِّر من حقيقة الواقع شيئًا، ليس هذا إسلامًا، وليس هؤلاء مسلمين"(٢).

خامسًا : الدعوة إلى انعزال المجتمعات الجاهلية -الكفرية- بما فيها المساجد والمؤسسات، ولعل هذه القضية التي تبلورت عند الخوارج قديمًا فاعتزلوا الصحابة ومن معهم وسكنوا (حروراء)، بدعوى أن المجتمع كله مجتمع جاهلية وكفر، ورموا الصحابة بالكفر وفضلوا أنفسهم على الجميع، يقول (سيد قطب) في تفسيره لقول الله تعالى :{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ جـ ٤ ـ صـ ٢٠٣٣.

(٢) معالم في الطريق ـ سيد قطب ـ صـ ١٥٨.

وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(يونس: آية ٨٧)، قال (سيد قطب) :"وهنا يرشدهم اللهّ إلى أمور : اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها – ما أمكن في ذلك – وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد اللهّ لها، اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد. تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعًا من التنظيم في جو العبادة الطهور"(١).

ولا أدل على ذلك من هذا النص الذي يجزم فيه (سيد قطب) بتكفير المجتمع ورميه بالجاهلية؛ بل تعدى لأكثر من هذا، وقال بوجوب مقاطعة المجتمع الجاهلي وبخاصة المساجد على حد تعبيره.

سادسًا : تجريده الأمة الإسلامية جمعاء من الاعتصام بكتاب الله وسنته، حيث قال في ظلاله :"إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم، قاعدة التعامل فيه هي شريعة اللهّ والفقه الإسلامي!"(٢).

سابعًا : دعوته إلى الهجرة من ديار الجاهلية –الكفر– كما يذكر، حيث قال في (الظلال) :"إنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها هذا العذاب : {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ}(الأنعام: آية ٦٥)، إلا بأن تنفصل هذه العصبة عقديًا وشعوريًا ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها – حتى يأذن اللهّ لها بقيام «دار إسلام» تعتصم بها –

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ جـ ٣ ـ صـ ١٨١٦.

(٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ جـ ٤ ـ صـ ٢١٢٢.

وإلا أن تشعر شعورًا كاملًا بأنها هي «الأمة المسلمة» وأن ما حولها ومن حولها، ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه، جاهلية وأهل جاهلية، وأن تفاصل قومها على العقيدة والمنهج وأن تطلب بعد ذلك من اللهّ أن يفتح بينها وبين قومها بالحق وهو خير الفاتحين"[1].

وبذلك نفى الإسلام أيضًا عن جميع الدول الإسلامية، ولا نعلم سر ذلك في طغيان الفكر السياسي على الجانب العقدي، بل طوع الآيات لتخدم الهدف الذي استقر بوجدانه، ولا شك أن هذا يعود لرواسب نفسية وظروف بيئية معاصرة كان لها الأثر الأكبر في هذه الآراء التي جاء بها من عند نفسه، وأثرت سلبًا على المجتمع فظهرت جماعات التكفير والهجرة وجماعات القاعدة وداعش وغيرهم، ولا شك أن (سيد قطب) كان يمر بأزمة جعلت من قلمه السيال منبعًا للحض على كراهية المجتمع وقطع أواصر الانتماء الوطني، ليس هذا فحسب بل وجدنا من جملة كلامه الدعوة لمقاطعة المساجد في مجتمع الجاهلية كما نص آنفًا، والنصوص كثيرة في ظلاله تدعو لتكفير المجتمعات ولتجهيلها لا يمكن لمجلد كبير أن يستوعبها؛ لكن ذكرنا هذا على سبيل الإيجاز، ويمكن القول إنه لم يسلم منه أي مجتمع حتى الدولة التي تُطبق الشريعة، فقد نفى عنها الإسلام الصحيح كما مر أيضًا، دعوته لترك الأوطان تحت مسمى مغادرة أو هجران ديار الجاهلية -الكفر-، رميه المجتمعات بالجاهلية لكونها تحتكم إلى القوانين الوضعية.

٥ـ محمد قطب: وهو شقيق (سيد قطب)، ولقد ألف كتابه الذي وسمه بـ(جاهلية القرن العشرين)، وسار على نهج شقيقه في رمي المجتمعات بالجاهلية، فقال ما نصه: "إن الطاغوت

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ جـ ٢ ـ صـ ١١٢٥.

الحاكم في الأرض وصل لحد حاسم، وانقلب الخير حسيرا لا يملك أمرا في ظل الطاغوت، وقد اقتربت تدخلات الإرادة الإلهية الحاسمة، فالناس يختارون لأنفسهم إما التدمير الشامل إن ظلوا فيما هم فيه من شرود عن منهج الحق، وإما الهدي إلى دين الله.. فلا بد من إفراد الحاكمية لله»(١).

ثم ما لبث إلا أن جعل الجاهلية مصطلحًا شموليًا لجميع المسلمين في المجتمعات بسبب قضية الحاكمية فقال :"ومن مقتضيات العبودية أن تكون الحاكمية لله وحده وأن يأخذ الناس تشريعهم عن الله، ولقد جادلت في هذا الأمر كل جاهلية في تاريخ الناس! حتى الجاهليات التي كانت تقول: إنها "تعرف" الله، حتى الجاهليات التي كانت تقول: إنها "تعبد" الله، حتى الجاهليات التي كانت تظن أنها تؤدي العبادة الحقة لله، كل الجاهليات كانت تجادل في هذا الأمر، وتظن أن العبودية لله أمر يختلف عن الإقرار بالحاكمية لله وحده وأخذ التشريع عن الله دون سواه"(٢).

لقد أطلق لعقله عنان الهوى مثل شقيقه أو أستاذه (سيد قطب) فبسبب ما تعلمه أو منهجه لم يتورع على أن يصف الأمم جميعًا بالجاهلية، ولم يستثن منها حتى الرعيل الأول من الصحابة -رضوان الله عنهم-، ورمى الجميع بالجاهلية رغم إسلامهم وقيامهم بجميع أركان الإسلام والإيمان، فقال :"ولقد انحرفت الأمة المسلمة كثيرًا عن منهج الله، أدركتها بالتدريج جهالة الجاهلية، ففصلت العقيدة عن الشريعة، وأخذت الدين عقيدة مستترة في القلب منقطعة عن

(١) جاهلية القرن العشرين ـ محمد قطب ـ صـ ٢٠٢.

(٢) جاهلية القرن العشرين ـ محمد قطب ـ صـ ٢٠٦.

الواقع، بينما الواقع يحكمه منهج الله، لكن اليوم لم يعد دين الله هو المحكم في واقع الأمة الإسلامية ومن ثم لم تعد أمة مسلمة، حتى وإن كانت لا تزال تتسمى بأبناء المسلمين وتصلي أحيانا وتصوم"[1].

أثر هذه النظرية القطبية على الفرق والجماعات التكفيرية:

بدأ فريق يتبنى فكر (سيد قطب) وخاصة مسألة (الجاهلية) فدان بها خلق كثير ودافعوا عنها، وتعد أفكار (قطب) وبخاصة كلامه عن الجاهلية هي بمثابة الوقود أو الديناميت الذي بنى عليه الجماعات التكفيرية عقيدتهم في التكفير، فلقد صرح بهذا (أيمن الظواهري) -رئيس تنظيم القاعدة - في حوار مع (جريدة الشرق الأوسط) فقال: "إن سيد قطب هو الذي وضع دستور "الجهاديين " في كتابه الديناميت : (معالم في الطريق) وأن سيدًا هو مصدر الإحياء الأصولي!!، وأن كتابه " العدالة الاجتماعية في الإسلام "، يُعد أهم إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية !، وإن فكره كان شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج، والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدد يومًا بعد يوم"[2]، ويمكن أن نذكر طرفًا من هذا الفريق على سبيل المثال لا الحصر:

أولا ـ جماعة التكفير والهجرة : وظهرت هذه الجماعة بعد إعدام (سيد قطب) وكان مؤسسها (شكري مصطفى) وكان من شباب (الإخوان المسلمين)، وقد تأثر بفكر (سيد قطب)، تبنَّى مؤسس (التنظيم التكفيري) عدة معتقدات نادى بها، ورسَّخها في نفوس كثير

(١) جاهلية القرن العشرين ـ محمد قطب ـ صـ ٢٢٢.

(٢) حوار أيمن الظواهري مع جريدة الشرق الأوسط ـ العدد رقم (٨٤٠٧) ـ بتاريخ ١٩ ـ ٩ ـ ١٤٢٢هـ.

من الشباب، خاصة المنتمي لهذا التنظيم وكذا عوام الناس التابعين له، ولقد انحرف (التنظيم التكفيري) فجاء بأمور ما أنزل بها من سلطانٍ، فوضع معتقدات كثيرة تقوم على التكفير للحاكم والمحكومين على حدٍّ سواء، ووصف المجتمع بالجاهلي، والتكفير بالمعاصي، فمَنْ فعل معصية لديهم فهو كافرٌ، ووجوب هجران الصلاة داخل المساجد؛ لأنَّ المساجد كلها مساجد ضرار، بل وصل به الحد لتكفير كل من جاء من بعد القرن الرابع الهجري حتى الآن، أيضًا تكفير الفقهاء ومن اشتغل بالفقه وأدواته؛ وأُجملُ بعضًا من معتقداتهم فيما يأتي:

١ ـ مرتكب الكبيرة كافر إذا أصرَّ عليها ولم يتب منها.

٢ ـ كُلُّ الحُكَّامِ الذين لا يحكمون بما أنزل الله كُفَّارٌ أيضًا.

٣ ـ تكفير العلماء، واستباحة دمائهم؛ لأنهم لم يُكفروا الحكام ولا المحكومين الذين لا يُحكِّمون الشرع ولا يَحكمون به.

٤ ـ تكفير كل مَنْ انضمَّ لجماعتهم، ثم خرج منها تاركًا إياهم، فهو مرتد حلال دمه.

٥ ـ وجوب العزلة عن المجتمع الجاهلي، لذلك جعلوا الهجرة عندهم على قسمين: هجرة مكانية وهجرة شعورية، وجعلوا الهجرة الشعورية بداية لدعوتهم؛ حتى يتحقق الإسلام الحقيقي برأيهم وحسب هواهم.

٦ ـ اعتقادهم أنَّ أميرهم (شكري مصطفى) هو (المهدي)، وأن الله – تعالى– سيفتح على يديه المغاليق، وسيحقِّق له على يد جماعته ما لم يُحققه لسيدنا رسول الله –ﷺ–.

٧ ـ هجر جميع المساجد دون استثناء، وترك الصلاة فيها؛ لكون المساجد في معتقدهم مساجد ضرار.

٨ ـ استحلال دماء المسلمين عن طريق الاغتيالات لكل مخالفيهم، وقد أطلقت هذه الجماعة التكفيرية على كل ما سواهم أنهم أهل ردة"[(١)]، وترتب على رميهم المجتمع بالجاهلية اغتيال الكثير من الشخصيات البارزة في المجتمع وبخاصة الوزراء والعلماء، وكان من أبرز الذين تم اغتيالهم الأستاذ الدكتور الوزير/ محمد حسين الذهبي ـ أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر ووزير الأوقاف وقتها، وكان سبب اغتياله؛ أنه أقسم على الدستور وعمل تحت مظلة حكومة كفارة كما ذكروا.

ثانيًا : جماعة تنظيم الجهاد: بدأت أول مجموعة جهادية في مصر قرابة عام ١٩٦٤م بالقاهرة، وكان أبرز مؤسسيها ثلاثة، هم (علوي مصطفى) من حي مصر الجديدة و (إسماعيل طنطاوي) من حي المنيل و(نبيل البرعي) من حي المعادي، وكانوا جميعًا طلبة في الثانوية العامة وقتها، ولقد تخرج (إسماعيل) و(علوي) من كلية الهندسة بجامعة الأزهر فيما بعد، بينما تأخر (نبيل البرعي) دراسيًا، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة بيروت.

أصبحت هذه المجموعة تنظيمًا يضم عددًا من المجموعات في القاهرة والجيزة والإسكندرية، وربما قليلًا من المحافظات الأخرى، وكانوا جميعًا من طلبة المرحلة الثانوية، أو الجامعية، لكن التنظيم استمر سنوات كبر فيها هؤلاء الصغار.

وكان من بين أعضاء هذا التنظيم (أيمن الظواهري) في نهاية الستينيات، كما كان من أعضاء هذا التنظيم (يحيى هاشم) و(رفاعي سرور) وغيرهم من الشباب، وأيضًا وجد هذا

(١) الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو "جماعة المسلمين" ـ محمد سرور زين العابدين ـ صـ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ـ التكفير والهجرة وجهًا لوجه ـ رجب مدكور ـ صـ ١٩٣ ـ ١٩٥ .

التنظيم رواجًا لدى بعض الشباب، فانضم لهذا التنظيم في الفترة نفسها (نهاية السبعينات) مجموعة الجيزة التي كان من أبرز قادتها (مصطفى يسري) و (حسن الهلاوي)، لكن هذه المجموعة سرعان ما انفصلت عن التنظيم في أوائل السبعينات، عند أول بادرة خلاف مع التنظيم، ومن أبرز معتقدات هذا التنظيم التكفيري من خلال كتاب (الفريضة الغائبة):

١ـ الدعوة إلى قتل الحكام جميعًا يقول (عبد السلام):"والذي لا شك فيه هو أن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف"(١).

٢ـ تكفير المجتمعات، يقول (عبد السلام):"والأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحكام كفر بل هي قوانين وضعية وضعها كفار وسيروا عليها المسلمين"(٢) .

٣ـ تكفير الحكام، يقول (عبد السلام): "وحكام العصر ـ قد تعددت أبواب الكفر التي خرجوا بها من ملة الإسلام، بحيث أصبح الأمر لا يشتبه على كل من تابع سيرتهم، هذا بالإضافة إلى قضية الحكم"(٣).

٤ـ ردة جميع الحكام وتخوينهم، يقول (عبد السلام): "فحكام هذا العصر ـ في ردة عن الإسلام، تربوا على موائد الاستعمار سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية، فهم لا يحملون منه إلا الاسم، وإن صلى وصام وادعى أنه مسلم"(٤).

٥ـ الدعوة إلى عدم إنشاء جمعيات خيرية في المجتمعات، يقول (عبد السلام) مُعلِّلًا: "هناك

(١) الجهاد الفريضة الغائبة ـ محمد عبد السلام ـ صـ ٢ .

(٢) نفسه ـ صـ ٥ .

(٣) نفسه ـ صـ ٥ .

(٤) نفسه ـ صـ ٦ .

من يقول إننا نقيم جمعيات تابعة للدولة، تدفع الناس إلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأعمال الخير، فإن الصلاة والزكاة وأعمال الخير تلك أوامر من الله -ﷻ-، لا يجب علينا التفريط فيها، ولكن إذا تساءلنا هل كل هذه الأعمال والعبادات هي التي ستقيم دولة الإسلام؟ فالإجابة الفورية دون أدنى تفكير هي: لا، هذا بالإضافة إلى أنَّ هذه الجمعيات خاضعة أصلًا للدولة، ومقيدة بسجلاتها وتسير بأوامرها"[1].

٦ـ الاجتهاد من أجل الحصول على المناصب لا يجوز؛ لأنه لن يصل الأمر إلى توصيل أي شخصية مسلمة إلى منصب وزاري، إلا إذا كان مواليًا للنظام موالاة كاملة"[2].

٧ـ الرد على من يقول إن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط، وإن الإسلام لم ينشر بالسيف؛ بل نُشر الإسلام بالسيف"[3].

٨ـ حرمة الانشغال بطلب العلم في الدولة، ثم تهكم (سرور) على الأزهر وعلمائه، عندما دخل نابليون الأزهر، فقال (سرور):"وهناك مجاهدون منذ بداية دعوة النبي -ﷺ-، وفي عهود التابعين حتى عصور قريبة لم يكونوا علماء، وفتح الله على أيديهم أمصارًا كثيرة، ولم يحتجوا بطلب العلم، أو بمعرفة علم الحديث، وأصول الفقه، بل إن الله -ﷻ- جعل على أيديهم نصرا للإسلام لم يقم به (علماء الأزهر) يوم دخل (نابليون) وجنوده الأزهر بالخيل والنعال، ماذا فعلوا بعلمهم أمام تلك المهزلة؟ فالعلم ليس السلاح الحاد والقاطع، الذي

(١) الجهاد الفريضة الغائبة ـ محمد عبد السلام ـ صـ ١١ .

(٢) نفسه ـ صـ ١٢ .

(٣) نفسه ـ صـ ١٣ .

سوف يقطع دابر الكافرين"[1].

ثالثا : جماعة تنظيم القاعدة: هذا التنظيم الـذي أسسـه (عبـدالله عـزام) أَسـس (عزام) مكتبه بأفغانستان تحت مسمى (الخدمات)، وبدأ في إقناع كثير من الشـباب بضرـورة العمل الجهادي، وتهافت على المكتب شباب من جميع البلدان العربية والأجنبية، وجاء ممدًا له بالمال (أسامة بن لادن) السعودي الثري وهو من أصـول يمنيـة، وُلـد سـنة ١٩٥٧ م وكـان عضوًا بارزًا في جماعة (إخوان الحجاز) ثم أسس مجلته الشهيرة (رسالة الجهاد) وكانت تصدر شهريًا، في مايو ١٩٨٦ أنشأ (عبد الله عزام) أول معسكر لتدريب المجاهدين العـرب داخـل الأراضي الأفغانية، وأطلق عليه اسم (عرين الأسد)"[2].

ويعد (عزام) واحدًا من أهم من انخرطوا في صفوف (جماعة الإخوان المسلمين) في وقـت مبكر من عمره -وهو دون الخامسـة عشرـة-، و (حسـن البنـا) لـه أثـره الكبـير في تكـوين شخصيته، وقد اعتبر (عزام) أن في رسائل (البنا) ما يمثل منهجًا عامًّا لتحديد الأسـس التـي تقوم عليها (الحركة الإسلامية) في كل مكان وزمان، وأيضًا شخصية (سيد قطب) وكتبه كان لها الأثر البالغ في التكوين الفكري لشخصية (عزام)، وبدأ مع (أسـامة بـن لادن) في تكـوين تنظيم القاعدة في أواخر ثمانينات القرن الماضي، واستطاعا أن يجندا عددًا من شباب السـودان وغيرها، ويمكن إجمال بعض أفكار (عزام و أسامة بن لادن وأيمن الظواهري والمقدسي) فيما يلي:

(١) الجهاد الفريضة الغائبة ـ محمد عبد السلام ـ صـ ١٤ .

(٢) زمن الصحوة الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية ـ ستيفان لاكروا ـ ترجمة : عبدالحق الزمّوري ـ صـ ١٤٧ ـ ١٥٦ بتصرف .

١ـ تكفير الحُكام عند (عزام) قال ما نصه: "والـذين يُشرعون بغـير مـا أنـزل الله، والـذين يتحاكمون إلى هذا التشريع، نستطيع أن نوضح موقف هذا الـدين مـنهم بالتفصـيل: أولًا: (الحاكم الأول في الدولة – الذي يأمر بالتشريع وسن القوانين) : هذا كافر خارج من الملة".

٢ـ تكفير من يقومون بصياغة المواد القانونية في فكر (عزام) يقول ما نصه: "المقننـون الـذين يقننون القوانين في هذا التشريع المخالف لشرع الله)، هؤلاء كفرة كالسدنة والكهنة الذين عند اللات والعزى"[١].

٣ـ تكفير أعضاء المجالس النيابية في فكر (عزام)، قال ما نصه: " (مجلس النواب) أو(مجلـس الأمة) إذا وافق أو وقع أي واحد – ممن في داخل هذا المجلس – عـلى قـانون واحـد أو مـادة واحدة تحل ما حرم الله أو تحرم ما أحل الله يخرج من الإسلام"[٢] .

٤ـ تكفير المجتمعات والشعوب التي ترضى بالقوانين الوضعية في فكر (عزام)، حيث قال ما نصه: "وأما من يقف من الناس مع الطواغيت ويثبتوهم في الحكم أو يرشـحوهم للحكـم، فمن وقف مع حاكم لتثبيته أو ترشيحه للحكم –وهو يعلم أنـه لـن يحكـم بشرـع الله، وأنـه سيطبق القوانين الوضعية، وذلك من أجل مصلحة دنيويـة أو هـوى أو شـهوة نفـس– فإنـه يخرج من ملة الإسلام ولا يعامل كمعاملة المسلمين"[٣].

٥ـ تفسيق القضاة بلا استثناء وحرمة رواتبهم عند (عزام) يقول جازمًا: "القاضي الذي ينفذ

(١) تفسير سورة التوبة (شريط ٦٠) ـ عبدالله عزام .

(٢) تفسير سورة التوبة (شريط ٦٠) ـ عبدالله عزام .

(٣) الحاكمية المطلقة (شريط رقم ٢١٤) ـ عبدالله عزام .

هذا القانون أو هذا التشريع وهو لا يحبه ويكرهه ويتمنى أن يطبق النظام الإسلامي فهو فاسق وعمله حرام وراتبه حرام، ولكن لا يخرج من الإسلام"[١].

٦ـ تفسيق من يشتغلون بالمحاماة عند (عزام) يقول (عزام): "(المحامي) الذي يُرافع في هذه المحاكم الوضعية عمله حرام، وراتبه حرام" إلى أن قال: "أما أنا فلا زلت مطمئنًا بحرمتها ومتيقنًا بأن عمل المحاماة في ظل القوانين الوضعية حرام مطلقًا"[٢].

٧ـ تفسيق الوزراء وحرمة رواتبهم في فكر (عزام) حيث قال: "(الوزراء) هؤلاء ليسوا مُشرّعين وإنما هم منفذون، فهم فاسقون لا يجوز لهم العمل في هذا، ورواتبهم حرام، ولكن لا يخرجون من الإسلام"[٣].

٨ـ تكفير دولة (السعودية) سُئلَ (أسامة بن لادن) إذا خرج الأمريكيون من السعودية وتم تحرير المسجد الأقصى، هل ستوافق على تقديم نفسك للمحاكمة في بلد مسلم؟ فأجاب (أسامة بن لادن) قائلًا : أفغانستان وحدها دولة إسلامية، باكستان تتبع القانون الإنكليزي، وأنا لا أعتبر السعودية دولة إسلامية"[٤].

٩ـ تكفير الحكام ومعاداتهم، قال (بن لادن): "فخلافنا مع الحكام ليس خلافًا فرعيًّا يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشريعهم للقوانين الوضعية، وإقرارهم

(١) تفسير سورة التوبة (شريط ٦٠) ـ عبدالله عزام .

(٢) تفسير سورة التوبة (شريط ٦٠) ـ عبدالله عزام.

(٣) الحاكمية المطلقة (شريط رقم ٢١٤) سلسلة التربية الجهادية ـ عبدالله عزام ـ جـ ١١ .

(٤) جريدة الرأي العام "الكويتية" ـ لقاء مع "أسامة بن لادن" ـ بتاريخ ١١ ـ ١١ ـ ٢٠٠١ م .

واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعًا منذ زمن بعيد فلا سبيل للبقاء تحتها"[1].

١٠ـ تحريض (بن لادن) الشعوب على الخروج على الحكام، وجزمه بكفر الحكام، حيث قال ما نصه: "كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام والأجواء الساخنة؛ لتتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا، وليقيموا حكم الله في الأرض، ومن أكثر المناطق تأهلًا للتحرير، الأردن والمغرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين واليمن"[2].

١١ـ تكفيره لأمير السعودية (عبدالله بن عبد العزيز) قال (بن لادن): "إن الحكام الذين يريدون حل قضايانا، ومن أهمها القضية الفلسطينية عبر الأمم المتحدة، أو عبر أوامر الولايات المتحدة، كما حصل بمبادرة الأمير (عبد الله بن عبد العزيز) في بيروت، ووافق عليها جميع العرب، والتي باع فيها دماء الشهداء، وباع فيها أرض فلسطين إرضاء ومناصرة لليهود وأميركا على المسلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة"[3].

١٢ـ (أيمن الظواهري) وتكفير "الحكام" قال (الظواهري) ما نصه: "إن الحكام الحاكمين لبلاد المسلمين بغير ما أنزل الله بالقوانين الوضعية هم كفار مرتدون يجب الخروج عليهم،

(١) رسالة بن لادن الأخيرة لأهل العراق – الجزيرة ـ بتاريخ ـ ٥ ـ ١٢ ـ ١٤٢٣ هـ.

(٢) رسالة بن لادن الأخيرة لأهل العراق – الجزيرة ـ بتاريخ ـ ٥ ـ ١٢ ـ ١٤٢٣ هـ.

(٣) رسالة بن لادن الأخيرة لأهل العراق– الجزيرة ـ بتاريخ ـ ٥ ـ ١٢ ـ ١٤٢٣ هـ.

وجهادهم وخلعهم، ونصب حاكم مسلم، كما سنبيِّن كفر الديمقراطية التي اتخذتها الحكومات المختلفة منهجًا سياسيًّا لها، كما سنبيِّن تحريم موالاة هؤلاء الكافرين وتحريم اتباع أهوائهم، هذا في الباب الأول، إذ لا يدرك القارئ فساد موقف الإخوان من هذه القضايا إلَّا إذا علم الحق فيها أولًا"[1].

١٣ـ (المقدسي) وتكفيره للحكام فلقد ألف كتابًا أسماه بـ (الكواشف الجلية في كفر دولة السعودية) يقع في نحو مائتين وخمسين صفحة؛ يجزم فيه بتكفير الحكام والوزراء ومن على شاكلتهم ..

١٤ـ (المقدسي) وتكفيره للجيوش والشرطة وأجهزة المخابرات وغيرهم حيث ذكر في كتابه (ملة إبراهيم) ما نصه : "براءة إلى الطواغيت في كل زمان ومكان، إلى الطواغيت حُكامًا وأمراء وقياصرة وأكاسرة وفراعنة وملوكًا، إلى سدنتهم وعلمائهم المضلين، إلى أوليائهم وجيوشهم وشرطتهم وأجهزة مخابراتهم وحرسهم، إلى هؤلاء جميعًا نقول ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[2]، براء من قوانينكم ومناهجكم ودساتيركم ومبادئكم النتنة، براء من حكوماتكم ومحاكمكم وشعاراتكم وأعلامكم العفنة، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾[3]، ومن أمثلة هذه الأساليب في واقعنا المعاصر: ما يؤسسه كثير من الطواغيت من برلمانات ومجالس أمة وأشباهها؛ ليجمعوا فيها خصومهم من

(١) الحصاد المر ـ الإخوان المسلمون في ستين عامًا ـ أيمن الظواهري ـ صـ ٢٦ .

(٢) سورة الممتحنة آية : ٤ .

(٣) ملة إبراهيم ـ أبو محمد المقدسي ـ صـ ٣ و صـ ٦٦ بتصرف .

الدعاة وغيرهم، فيجالسونهم فيها ويقاعدونهم ويختلطون بهم، حتى يُميعوا القضية بينهم، فلا تعود المسألة مسألة براءة منهم أو كفر بقوانينهم ودساتيرهم أو انخلاع من باطلهم كله؛ بل تعاون وتآزر ومناصحة وجلوس على طاولة الحوار لأجل صالح البلاد واقتصادها وأمنها ولأجل الوطن الذي يتحكم به الطاغوت ويحكمه بأهوائه وكفرياته"[1].

رابعًا : تنظيم داعش : أليست هذه أفكار (سيد قطب) وشقيقه (محمد قطب)؟ إن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تبلور هذا التفكير التكفيري ليصل إلى (تنظيم الدولة) كما يطلقون على أنفسهم (الدولة الإسلامية في الشام والعراق) والمعروف إعلاميًا بـ(تنظيم داعش)، فأصبح التكفير على أشده، ويمكن أن نذكر طرفًا من أفكار هذا التنظيم

يحكم التنظيم على جميع الدول كلها الشرع، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل قالوا : "من يستبدل بمخالفة حكم الله بحكم البشر فقد كفر"، وهذا نص بيانهم على لسان (العدناني) والذي أُذيعَ في الخامس من رمضان لهذا العام ١٤٣٦هـ: "تذكر أيها المفتون قبل أن تقدم على قتالها أنَّه لا يوجد على وجه الأرض بقعة يطبق فيها شرع الله، والحكم فيها كله لله سوى أراضي الدولة الإسلامية، تذكر أنَّك إن استطعت أن تأخذ شبرًا أو قرية أو مدينة سيُستبدل فيها حكم الله بحكم البشر، ثمَّ اسأل نفسك: ما حكم من يستبدل أو يتسبب باستبدال حكم الله بحكم البشر؟ نعم، إنَّك تكفر بذلك"[2]، وفي معتقدهم المنشور عبر موقعهم، خاصة المعتقد الثامن عشر، جاء ما نصه: "الدولة الإسلامية تقول بكفر عساكر

(١) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(٢) يا قومنا أجيبوا داعي الله"، ـ بيان من تنظيم الدولة –(داعش)– أبو محمد العدناني، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة:٢٩, ١٥ .

الحكام الطواغيت وشرطهم ومباحثهم ووزرائهم وقضاتهم وأركان حكومتهم".

موقف (داعش) ممن يقاتلهم: أصدر تنظيم الدولة بيانًا أيضًا على لسان متحدثه الإعلامي (العدناني) يُكفر فيه كل من يقاتلهم، فإنه يقع في الكفر من حيث يدري ومن حيث لا يدري، وهذا نص كلامه "فاحذر فإنك بقتال الدولة الإسلامية تقع بالكفر من حيث تدري أو لا تدري"(١).

خامسًا: المدرسة القطبية المعاصرة: لقد صار الفكر القطبي منهجًا يتبعه بعض الناس من الدعاة وغيرهم حتى يومنا الحاضر؛ إذ وجدنا من أتباع (سيد قطب) من المعاصرين من ينتهج نهجه؛ فاستعمل مسألة (التكفير بالذنوب)، ومنهم من قال: إن (أبا جهل) أفضل من حكام المسلمين، ذكر (عبد الحي يوسف) في كتابه (الاستبداد) فقال ما نصه:" لو قال قائل من أهل العلم والإيمان أن ما ذكر من حرمة الخروج ووجوب التزام الجماعة إنَّما هو في حقِّ الحكام الظالمين وأئمة الجور من المسلمين، أمَّا واقع المسلمين المعاصرين فإنَّه يشهد بأنَّ كثيرًا من حكَّامهم كفَّارٌ، لا مجرَّد ظالمين؛ إذ إنَّهم محاربون لله ورسوله بما يسوسون به الرَّعيَّة من أحكام ظالمة وقوانين وضعيَّة"(٢).

وفي موضع آخر ذكر (عبد الحي يوسف) ما نصه: "وعلى كُلٍّ فإنَّ أبا جهل خير في هذا الأمر من طواغيت المسلمين المعاصرين، الذين يصفون مخالفيهم بأنَّهم أراذل مخربون قتلة

(١) يا قومنا أجيبوا داعي الله"، ـ بيان من تنظيم الدولة –(داعش)- أبو محمد العدناني، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة:٢٩, ١٥ .

(٢) الاستبداد السياسي في ضوء الكتاب والسنة "الأسباب والعلاج" ـ عبد الحي يوسف ـ وهذه رسالة الدكتوراه التي أشرف عليها الدكتور الحبر نور الدائم ـ صـ٢٠٨ .

سفَّاكون، وهم يعلمون أنهم في ذلك كاذبون حيث إنَّ(أبا جهل) ما تعمَّد كذبًا"[1].

وكفر (سفر الحوالي) جميع الحكام صراحة كما نص على ذلك في كتابه (الإرجاء) – وكتاب (الإرجاء في الأصل رسالته الدكتوراه وكان مشرفًا عليه أ. محمد قطب وقت عمله في جامعة أم القرى بالسعودية–، فقال: "أمَّا طواغيت الحكم والتشريع فقد نسخوا شريعة الله جهارًا ونهارًا، وحكموا شرائع الطاغوت في الدماء والأعراض والأموال، وألزموا الناس في مناهجهم ووسائل تربيتهم بموالاة الكفار، وتقديس عظماء الكفر من فلاسفة وقادة وحكام، ونشروا من استحلال المكفرات والموبقات ضروبًا وألوانًا، وسخروا من الحدود والحجاب وتعدد الزوجات وأحكام الميراث والعبادات والأخلاق..، كل هذا وأكثر الشعب لا يرفع عليهم رأسًا ولا يرى به بأسًا، والجريء منهم يعتبره خطأ أو معصية، والمنافقون من أصحاب العمائم يقولون كما قال أحدهم: "لو كان لي من الأمر شيء لجعلتك في منزلة مَنْ لا يسأل عما يفعل، وانضمَّ أغلب الطبقة المثقفة – كما يسمونها – إلى الأحزاب الكفرية والمنظمات الإلحادية والمذاهب الأدبية التي تستر الكفر بالشعر، حتى إن بعض معاقل الإسلام التاريخية أصبح في كل قرية منها مدرسة فرع للحزب الملحد. وسقط حد الردة إلا من كتب الفقه الموروثة، بل ظهر في صفوف المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية اتجاه جديد ينكر حد الردة ضمن ما ينكر من حدود الإسلام وأصوله"[2].

(١) الاستبداد السياسي في ضوء الكتاب والسنة "الأسباب والعلاج" ـ عبد الحي يوسف ـ صـ ٥٥٠ .

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ـ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ـ رسالة دكتوراه للمؤلف ـ بإشراف الأستاذ: محمد قطب ، ١٤٠٥ هـ – ١٤٠٦ هـ ـ وطُبعت بدار الكلمة ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م ـ صـ ٥٩ ـ ٦٠.

المبحث الثالث:

"مصطلح الجاهلية" في ميزان النقد وفيه:

أولا: بيان موقف الأزهر الشريف

إن هذه النظرية أو هذا المصطلح قد نادى به غير واحد من أتباع (سيد قطب) وبخاصة الجماعات التكفيرية، وقد استندوا إلى أمر واحد وهو القول بعدم تطبيق شرع الله، أو بعبارة أدق الحكم بالقوانين الوضعية، ولذلك فإن من أبرز المنتقدين لمصطلح الجاهلية كان علماء الأزهر، ويمكن أن نذكر بعض علماء الأزهر الذين تصدوا للرد على الأفكار التكفيرية عند مدرسة (سيد قطب) وغيرها.

١ـ رد فضيلة الشيخ (عبد اللطيف السبكي) - رئيس لجنة الفتوى بالأزهر- وكان من المعاصرين لـ(سيد قطب)، وقد أُوكلَ إليه بعمل تقرير عن كتاب (سيد قطب) (معالم في الطريق)، وقد قام بتفنيد الكتاب كاملًا، وكان عنوان مقال الشيخ (عبد اللطيف) الذي تضمن الرد :"عن كتاب معالم في الطريق وهو دستور الإخوان المفسدين"، وقد جاء ما نصه: "لأول نظرة في الكتاب يدرك القارئ أن موضوعه دعوة إلى الإسلام ولكن أسلوبه أسلوب استفزازي، يفاجئ القارئ بما يهيج مشاعره الدينية وخاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء الذين يندفعون في غير روية إلى دعوة الداعي باسم الدين ويتقبلون ما يوحي إليهم به من أهداف، ويحسبون أنها دعوة الحق الخالصة لوجه الله وأن الأخذ به سبيل إلى الجنة، وأحب أن أذكر بعض نصوص من عبارات المؤلف لتكون أمامنا في تصور موقفه الفاسد : ١ــ في صفحة (٦) يقول : "ووجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع من قرون كثيرة، ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى، لا بد من

بعث لتلك الأمة التي واراها ركام الأجيال وركام التصورات، وركام الأوضاع، وركام الأنظمة التي لا صلة لها بالإسلام... إلخ ."، إن المؤلف يُنكر وجود أمة إسلامية منذ قرون كثيرة!، ومعنى هذا أن عهود الإسلام الزاهرة، وأئمة الإسلام، وأعلام العلم في الدين، في التفسير والحديث والفقه وعموم الاجتهاد في آفاق العالم الإسلامي، معنى هذا أنهم جميعًا كانوا في تلك القرون الكثيرة السابقة يعيشون في جاهلية، وليسوا من الإسلام في شيء .. حتى يجيء إلى الدنيا "سيد قطب" فينهض إلى ما غفلوا عنه من إحياء الإسلام وبعثه من جديد!!.

٢ـ صفحة (٩): "إن العالم يعيش اليوم كله في جاهلية .. هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية وهي الحاكمية ، إنها تسند الحاكمية إلى البشر"، وفي هذا ينفرد المنهج الإسلامي، فالناس في كل نظام غير النظام الإسلامي يعبد بعضهم بعضًا.

٣ـ صفحة (١٠): "في المنهج الإسلامي وحده يتحرر الناس جميعًا من عبادة بعضهم بعضًا، وهذا هو المقصود الجديد الذي نملك إعطاءه للبشرية .. ولكن هذا الجديد لا بد أن يتمثل في واقع عملي، لا بد أن تعيش به أمة، وهذا يقتضي بعث في الرقعة الإسلامية، فكيف تبدأ عملية البعث؟! .. إنه لا بد من طليعة تعزم هذه العزلة وتمشي ـ في الطريق"، ٤ ـ صفحة (١١) :"ولا بد لهذه الطليعة التي تعزم هذه العزمة من "معالم في الطريق"، ولهذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتبت "معالم في الطريق "وذلك كلامه، فهذه دعوة مكشوفة إلى قيام طليعة من الناس ببعث جديد في الرقعة الإسلامية، وهذا البعث الجديد رسالة دينية تقوم بها طليعة تحتاج إلى معالم تهتدي بها، والمؤلف هو الذي تكفل بوضع المعالم لهذه الطليعة ولهذا البعث

المرتقب، وفي غضون كلامه الآتي : تتبين المعالم التي تصدى لها في البعث الجديد ، ٥ ـ صفحة (١١) : "ونحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام ، أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية"، ٦ ـ صفحة ٢٣ : "إن مهمتنا الأولى هي تغيير واقع هذا المجتمع ..مهمتنا هي تغيير هذا الوضع الجاهلي من أساسه"، وهذا إعلان منه لما يدعو إليه من الثورة على المجتمع. ٧ ـ صفحة ٣١ : "وليس الطريق أن نخلص الأرض من يد طاغوت روماني أو طاغوت فارسي إلى يد طاغوت عربي، فالطاغوت كله طاغوت، إن الأرض لله، وليس الطريق أن يتحرر الناس في هذه الأرض من طاغوت إلى طاغوت! إن الناس عبيد الله وحده .. لا حاكمية إلا لله، لا شريعة إلا من الله .. ولا سلطان لأحد على أحد، وهذا هو الطريق"، وهذا أسلوب المدلسين باسم الدين في قوله: "إن الأرض لله ، وإن الحاكمية لله، ولا حاكمية إلا لله ". كلمة قالها الخوارج قديما، وهي وسيلتهم إلى ما كان منهم في عهد الإمام علي، من تشقيق الجماعة الإسلامية، وتفريق الصفوف، وهي الكلمة المغرضة الخبيثة التي قال عنها الإمام علي :"إنها كلمة حق أريد بها باطل "، فالمؤلف يدعو مرة إلى بعث جديد في الرقعة لإسلامية ثم يتوسع فيجعلها دعوة في الدنيا كلها، وهي دعوة على يد الطليعة التي ينشدها والتي وضع كتابه هذا ليرشد بمعالمه هذه الطليعة .. كما يقرر ..."، وبعد أن انتهى الشيخ (عبد اللطيف السبكي) من تقريره عقب قائلًا:" فقد انتهيت في كتاب " معالم في الطريق " إلى أمور : ١ ـ إن المؤلفَ إنسانُ مسرفُ في التشاؤم، يَنظر إلى المجتمع الإسلامي، بل يَنظر إلى الدنيا بمنظار أسود ويصورها للناس كما يراها هو أو أسود مما يراها، ثم يتخيل بعد ذلك آمالًا ويَسْبح في خيال. ٢- إن "سيد قطب" استباح باسم الدين أن يستفز البسطاء إلى ما يأباه الدين من مطاردة

الحكام مهما يكن في ذلك عندي من إراقة دماء والفتك بالأبرياء وتخريب العمران"[1].

٢ـ الدكتور: (محمد الأحمدي أبو النور) (١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠م - ٢٨ محرم ١٤٣٧ هـ/ ١١ نوفمبر ٢٠١٥م) ، أستاذ التفسير والحديث بجامعة الأزهر ـ ووزير الأوقاف المصرية الأسبق، ظل يُناظر أصحاب فكر (التكفير والهجرة) لمدة طويلة، ويظل اللقاء الواحد من سبع إلى ثماني ساعات دون هُدنة، فكان يدخل لـ (صفوت الزيني) أحد أفراد التنظيم التكفيري، وفيلسوف جماعة (التكفير والهجرة)، ولقد استطاع بفرط ذكائه في اللعب على عواطف ومشاعر الشباب أن يستقطبهم للفكر التكف يري، ولقد استمرت المناظرات لمدة شهر، وجلب لـ(صفوت الزيني) كل الكتب والمراجع الفقهية والدينية التي طلبها؛ لأن حجته كانت أن ليس عنده مراجع، وطلب أكثر من ثلاثين كتابًا، بعضها كان موجودًا في مصر، وبعضها الآخر أُحضرَ له من الخارج من (السعودية، بيروت)، وأخذ في القراءة مدة شهرين، حتى استعدَّ وتأهب للقاء الدكتور (الأحمدي أبو النور)، وسجل التاريخ أن الدكتور (الأحمدي أبو النور) نجح في إقناع (صفوت الزيني) بخطأ فكر (التكفير)، وبعد خروج (صفوت الزيني) من كهف (التكفير والهجرة) تم القضاء التام على هذه الجماعة وأفكارها للأبد، وأصبح (صفوت) وزميله (عصام عبد النبي) – الذي كان من قيادات هذا الفكر– من أهم العناصر بعد المناظرات مع الدكتور (الأحمدي) التي تصدت للفكر التكفيري"[2].

(١) عن كتاب معالم في الطريق وهو دستور الإخوان المفسدين ـ مقال للشيخ: عبد اللطيف السبكي ـ منشور بمجلة منبر الإسلام ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ العدد الثامن في شعبان سنة ١٣٨٥ هـ ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥م.

(٢) الإخوان وأنا ـ فؤاد علام ـ صـ ٣٩٣ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

٣ـ رد فضيلة الشيخ (جاد الحق علي جاد الحق) -رحمه الله- شيخ الأزهر الشريف الأسبق، وفضيلة الشيخ: (عطية صقر) -رحمه الله- ووضع عدة مبادئ - رحمه الله- فقالا :"الرجوع إلى لغة العرب في فهم معاني القرآن واجب، الإيمان شرعًا: هو التصديق بما وجب الإيمان به، والإسلام هو النطق للشهادتين والعمل بما جاء به الإسلام والبعد عما نهى عنه، ارتكاب المسلم ذنبًا من الذنوب مخالفًا بذلك نصًا من القرآن أو السنة لا يخرجه عن الإسلام مادام معتقدًا صدق النص ومؤمنًا بوجوب التزامه به، ولكنه يكون عاصيًا فقط، أما جحوده ما وجب الإيمان به فيكون به كافرًا، من كفر مسلمًا أو وصفه بالفسوق ارتد عليه ذلك إن لم يكن صاحبه على ما وصف، النزاع في شيء من أمور الدين يرد إلى الكتاب والسنة والعالمين بهما، الجهاد نوعان : جهاد في الحرب وهو مجاهدة المشركين بشروطه ويكون بالقتال وباليد وبالمال وباللسان وبالقلب، وجهاد في السلم هو جهاد النفس والشيطان والجهاد في مواضعه ماض إلى يوم القيامة، الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة في حالة احتلال بلاد المسلمين ويكون بكافة الوسائل، تكفير الحاكم لمجرد تركه لبعض أحكام الله وحدوده دون تطبيق لا سند له من القرآن أو السنة ولكنه يكون بذلك آثمًا، فالإسلام لا يبيح الخروج على الحاكم المسلم وقتله، ما دام مقيمًا على الإسلام يعمل به حتى ولو بإقامة الصلاة فقط، إذا خالف الحاكم الإسلام، على المسلمين أن يتولوه بالنصح والدعوة السليمة، وإلا فلا طاعة له فيما أمر به من معصية أو منكر، الشورى أساس الحكم في الإسلام، والخليفة مجرد وكيل عن الأمة يخضع لسلطانها، تسمية الحكام بالخليفة، أمر تحكمه عوامل السياسة في الأمة الإسلامية، ولا تتعطل بسببها مصالح الناس خاصة بعد تفرق المسلمين إلى دول ودويلات، وانتخاب الحاكم

في كل عصر قائم مقام البيعة بالخلافة في صدر الإسلام، الخلافة والإمارة والولاية ورئاسة الجمهورية وغيرها من الأسماء مجرد اصطلاحات ليست من رسم الدين ولا من حكمه، العلم في الإسلام يتناول كل من وجد في هذا الكون، فضلًا عن العلم بالدين عقيدة وشريعة وآدابًا وسلوكًا، العلم جهاد، وجهاد العلماء ثابت تاريخًا ولا مراء فيه، الأصل في الإسلام التعامل مع الناس جميعًا -المسلم وغير المسلم- فيما لا يُخالف نصًا صريحًا من كتاب أو سنة أو إجماع"[1].

٤ـ بيان فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور: أحمد الطيب -شيخ الأزهر الشريف-، قال :"إن هناك بعض المفاهيم الملتبسة على بعض المسلمين، التي يتخذها التكفيريون ذريعةً لارتكاب أعمال العنف والإرهاب، ومنها مفهوم الحاكمية، إن فكرة الحاكمية هي فكرة بدأت منذ الخوارج، قتلوا بموجبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- وكفروه، وبعد أن اندثرت عادت مرة أخرى على يد المودودي؛ ليحارب بها الإنجليز ثم على يد سيد قطب، وبعده الجماعات الإرهابية التي ظهرت بعد ١٩٦٥، واعتبرت أن مجلس الشعب كفر والانتخابات كفر والديمقراطية كفر؛ لأنها تفتح المجال لحكم البشر، وبالتالي يكون المجتمع كافر ومَن يحكم به كافر ومن يرضى بهم دون أن يكفرهم فهو كافر أيضًا، ثم يجب أن تكون هناك مفاصلة شعورية أن تكرههم وتحقد عليهم وتتربص بهم الدوائر، ثم بعد ذلك تحكم عليهم بأنهم مجتمع جاهلي، ثم بعد ذلك تستعد لحتمية الصدام والصراع، إن الحاكم هو الله –

(١) نقض الفريضة الغائبة ـ فضيلة الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق ـ فضيلة الشيخ: عطية صقر ـ هدية مجلة الأزهر ـ عدد المحرم سنة ١٤١٤ هـ ـ صـ ٤ ـ ٦ باختصار.

تعالى – الذي يقول: هذا حلال فافعلوه وهذا حرام فلا تفعلوه، وفي هذا تحرُّرٌ كاملٌ من عبودية الإنسان للإنسان، إلى العبودية لله سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن لفظ الحاكمية: لفظ مشترك، يطلق على كثيرين مختلفين، مثل كلمة عين التي تطلق على الجارحة وعلى البئر وعلى النقود وعلى الجاسوس، ومثلها كلمة حاكم؛ فإنها كما تطلق على الله تطلق على الإنسان الذي من حقه أن يحكم، ولكن الحاكمية الخاصة بالله – عز وجل– هي حاكمية التشريع، وهذا فتح المجال لأَنْ يجتمعَ المسلمون ويجتهدوا ثم يقرِّرُوا بعد ذلك الحكم في أمرٍ معيَّنٍ بالإجماع، ويكون له نفس قدسية النَّصِّ القرآنيِّ، ومن هنا قيل: إن الإجماع مصدر من مصادر التشريع يأتي بعد القرآن والسُّنَّة"، "إنَّ لفظةَ "حاكم" لفظة مشتركة لكنها تختلف باختلاف الوضع؛ مثل صفة "عالم" فالله عليم وعلَّام وعالم، والإنسان قد يوصف بذلك، لكنَّ علمَ الله علمٌ مطلقٌ، وعلم الإنسان محدودٌ، فاللفظ مشترك ولكن المعنى مختلف، وهذا ما تعلمناه من تراثنا ونعلمه لطلابنا، ويجعلنا نرفض قول من يقول: ليس هناك غير القرآن والسنة، وأن أيَّ تجاهٍ آخَر يُعدُّ كفرًا، ويُحكَم على صاحبه بالقتل، وهذا ما فعله الخوارج لأوَّل مرَّةٍ في تاريخ المسلمين حينما رفضوا التحكيم، وأخذوا يقولون: الحُكْمُ لله وحدَه ولا حُكم للإنسان، وقولهم هذا هو السبب في كل ما تستحله الحركات المسلحة الإرهابية المستندة للإسلام، وتعتمد عليه في تكفير المسلمين مجتمعًا وحكامًا وتُحلُّ قتلهم"، إن المفاصلة الشعورية عند هذه الحركات تعني أن المنتمي إليها يجب أن يكره مخالفه على اتباع معتقده وفكره، وحينئذ ينتهي الأمر بالصدام، إضافة إلى الحكم على المجتمع بالجاهلية، ولذا فإن مفاهيم "الجاهلية والمفاصلة الشعورية والتكفير" انبثقت من فكرة الحاكمية، التي تعني أنه لا حكم للبشر،

ومَن يحكم منهم بحكم البشر فهو كافر ودمه حلال ويقتل، ومفهوم الحاكمية انـدثر باندثار الخوارج إلا أنه ظهر في العصر الحديث على يد عالم في الهند اسـمه "أبـو الأعـلى المـودودي" الذي كان يعيش في عصر سيطرة الإنجليز على الهند، وتحت ضـغط الاسـتعمار الـذي أرهـق المسلمين وقصر المناصب على بعضهم، لذا قال: إن حكم الإنجليز باطـل، والحكـم مقصـور على الله عز وجل ولا حكم للبشر ولا سلطة في إصدار قوانين أو دساتير، ثم تابعه سيد قطب الذي قال: إن الحكم لا يكون إلا لله، وإن أيَّ مجتمـع يوجـد بـه رجـال يُشرِّعـون ويضـعون دساتير هو مجتمع كافر يجب مواجهته، لكن هناك مَن يعتذر لأبي الأعلى المودودي، ويعتبر أنه قال ذلك في وقت استثنائي لمواجهة حكم الإنجليز ورفض قوانينهم؛ لأنه بعـد أن انفصـلت باكستان عام ١٩٤٧ تراجع عن رأيـه ذلـك، واعـترف بالدسـتور والدولـة، بـل وترشـح في الانتخابات، فكأنه استدعى مفهوم الحاكمية لمواجهة الاستعمار، ومـع زوال السـبب تراجـع عن ذلك الرأي، كما أن هناك من يبرر أخذ سيد قطب بهذا المفهوم ويقول: إن سـيد قطـب لا بد من تأويل كلامه؛ لأنه لم يكن يقصد ذلك"، وإننا سواء أخذنا بالاعتـذارات التـي وردت على رأي سيد قطب أم لم نأخذ بها فإن الجماعـات الإسـلامية المسـلحة أو جماعـات التطـرف والعنف التي جاءت بعد ذلك أخذوا بفكرة الحاكمية ونادوا من جديـد: أنْ لاَ حُكـمَ إلا لله، وأن المجتمع الذي يحكم فيه الناس مجتمع كافر يجب مواجهته ويقولون: إنه لا حكم للبشـر، وأن المجتمعات الإسلامية التي تأخذ بالقوانين والمجـالس التشـريعية تعـد كـافرة، وبالتـالي حاكمها كافر، ومن لم يكفرهم فهو كافر"[1].

(١) حديث مع الإمام ـ الجمعة الثالث عشر من فبراير سنة ٢٠١٥ م ـ وهو برنامج أسبوعي لفضيلة الإمام

ثانيًا: موقف السلفية المعاصرة من نظرية (الجاهلية القطبية)

لا شك أن فكر (قطب) وشقيقه ومن جاء بعدهما هو فكر أُحيط بانحرافات فكرية، ولا يغيب عن عاقل أن هذه نظرية لا تقوم على أسس أو دعائم صحيحة، ولقد رد عليه غير واحد من السلفيين المعاصرين؛ وسأقتصر على جملة من أشهر علماء السلفية المعاصرين وهم:

١ـ الألباني: عندما سُئل هل يجوز إطلاق لفظ (الجاهلية) على المجتمعات المعاصرة؟

فأجاب:" الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد: الذي أراه أن هذه الكلمة ((جاهلية القرن العشرين)) لا تخلو من مبالغة في وصف القرن الحالي، القرن العشرين، فوجود الدِّين الإسلامي في هذا القرن، وإن كان قد دخل فيه ما ليس منه يمنعنا من القول بأن هذا القرن يمثل جاهليةً كالجاهلية الأُولى. فنحن نعلم أن الجاهلية الأولى، إن كان المعني بها العرب فقط فهم كانوا وثنيين وكانوا في ضلال مبين، وإن كان المعني بها ما كان حول العرب من أديان كاليهودية والنصرانية فهي أديان محرفة، فلم يبق في ذلك الزمان دين خالص منزه عن التغيير والتبديل، فلا شك في أن وصف الجاهلية على ذلك العهد وصف صحيح، وليس الأمر كذلك في قرننا هذا ما دام أن الله تبارك وتعالى قد منَّ على العرب أولًا، ثم على سائر الناس ثانيًا، بأن أرسل إليهم محمدًا – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين، وأنزل عليه دين الإسلام، وهو خاتم الأديان، وتعهد الله عز وجل بحفظ شريعته هذه بقوله عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(١)، ... ولذلك فإن الذي أراه: أن إطلاق الجاهلية على القرن العشرين فيه تسامح، قد يُوهم الناس بأن الإسلام كله قد

الأكبر أ.د/ أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر الشريف ـ يعرض عقب صلاة الجمعة على الفضائية المصرية.

(١) سورة الحجر، الآية (٩).

انحرف عن التوحيد وعن الإخلاص في عبادة الله عز وجل انحرافًا كليًا، فصار هذا القرن – القرن العشرون – كقرن الجاهلية الذي بُعِثَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى إخراجه من الظلمات إلى النور حينئذ، هذا الاستعمال أو هذا الإطلاق يحسن تقييده في الكفار أولًا، الذين كما قال تعالى في شأنهم: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}[1]، وصف القرن العشرين بالجاهلية إنما ينطبق على غير المسلمين الذين لم يتبعوا الكتاب والسنة، ففي هذا الإطلاق إيهام بأنه لم يبق في المسلمين خير،...فلذلك لا يجوز هذا الإطلاق في العصر الحاضر على القرن كله؛ لأنَّ فيه– والحمد لله – بقية طيبة لا تزال على هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى سنته، وستظل كذلك حتى تقوم الساعة[2].

٢ـ شهادة الشيخ (صالح آل الشيخ) في شرحه لكتاب (مسائل الجاهلية) حيث قال ما نصه:" فلا يصح إطلاق من أطلق (بجاهلية القرن العشرين) أو نحوها من العبارات التي يستعملها من لم يدقق، لأنه بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم انقضت الجاهلية المطلقة، ولا يزال في أمته من ينافح عن هذا الدين ويرفع رايته، فليس ثم جاهلية منسوبة إلى زمنٍ كالقرن العشرين، وإنما تكون منسوبة إلى وقت من الأوقات فيما إذا ظهرت بعض الصفات ثم يجاهدها ويظهر عليها أهل الحق بالإنكار فلا تصبح جاهليةً يعني الزمن. فمثلًا تقول: القرن العشرين ظهرت فيه أنواع من الجاهليات كثيرة، لكن ما نطلق نقول: جاهلية القرن

(١) سورة التوبة: آية ٢٩.

(٢) حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ـ محمد إبراهيم الشيباني ـ جـ ١ ـ صـ ٣٩١ ـ ٣٩٤ باختصار.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

العشرين!، لأنَّ هذا إطلاق للزمن بكامله، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه "لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِه عَلَى الْحَقّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرّهُمْ من خالفهم ولا مَن خَذَلَهُمْ حَتّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وهم على ذلك" هؤلاء يُبينون ويَنصحون"[1].

٣ـ شهادة الشيخ (صالح الفوزان) في شرحه لكتاب (مسائل الجاهلية) قال ما نصه:" قال صلى الله عليه وسلم: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[2]؛ لأن أهل الجاهلية هم أهل الفوضى، الذين لا يخضعون لسلطان ولا لأمير. هذه حالة الجاهلية. فالحاصل: أن أمور الجاهلية كلها مذمومة، ونهينا عن التشبه بأهل الجاهلية في كل الأمور، والجاهلية انتهت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فبعد بعثته زالت الجاهلية العامة، وجاء العلم والإيمان، ونزل القرآن والسنة، وانتشر العلم وزال الجهل، وما دام القرآن موجودًا، والسنة النبوية موجودة، وكلام أهل العلم موجودًا، فإنه لا جاهلية حينئذ، أعني الجاهلية العامة، أما أنه يبقى بعض الجاهلية في بعض الناس، أو في بعض القبائل، أو في بعض البلدان،

(١) شرح مسائل الجاهلية ـ صالح آل الشيخ ـ الشريط الأول ـ الوجه الأول .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر ـ جـ ٣ ـ صـ ١٤٧٨ ـ حديث رقم ١٨٥١، والراوي الأعلى سيدنا عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- ونص الحديث عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

فالجاهلية الجزئية تكون موجودة[1].

٤ـ موقف الشيخ (عبد السلام ياسين) -مرشد جماعة الإحسان والعدل بالمغرب- حيث رفض إطلاق لفظ (الجاهلية) على المجتمعات، فقال ما نصه :"أفإن وُجِد من بين المسلمين، من حاكم طاغ ومتبرجات ومنافقين، من هم من أهل النار، نحكم أن الأمة كلها جاهلية، ديننا وتاريخ إقامته، وحديث النبي وصحابته، وسيرة الانتقال الأول على عهد التنزيل من جاهلية الإسلام، تُنبئنا أن الإسلام ما كان يومًا بقعة منعزلة فيها ملائكة أطهار تقابلها بقعة أخرى منعزلة تعيش فيها الشياطين الكفار، نعم، من دخل حوزة لا إله إلا الله معترفًا شاهدًا بوحدانيته، مصدقًا بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- مؤمنًا برسالته، فقد دخل الإسلام وخرج من الكفر"[2].

ثالثا: موقف الإخوان المسلمين من فكر سيد قطب.

لقد وجدت أنه من الانصاف بمكان وخاصة في البحث العلمي أن أعمد إلى منظري جماعة الإخوان لننظر موقفهم من فكر (سيد قطب)، ووجدت أن أكبر علماء الإخوان حاليًا يخالفونه القول في كثير من المسائل، ولذا سأقتصر على شهادة اثنين من مشاهير الإخوان:

١ـ الدكتور (يوسف القرضاوي): ذكر في غير موضع إنكاره على فكر (سيد قطب)، فقال في كتاب (فقه الأولويات): "في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد (سيد قطب) التي تمثل

(١) شرح مسائل الجاهلية ـ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ـ الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٥م ـ صـ ١٤.

(٢) تنوير المؤمنات ـ عبد السلام ياسين ـ الناشر: مطبوعات الأفق ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ الطبعة الأولى ١٩٩٦ ـ جـ ١ ـ صـ ١٥٢ ـ ١٥٣.

المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي بفكرة تجديد الفقه وتطويره وإحياء الاجتهاد، وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة، والإزراء بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، ويتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير "في ظلال القرآن" في طبعته الثانية، وفي "معالم في الطريق"، ومعظمه مقتبس من الظلال، وفي "الإسلام ومشكلات الحضارة"، وغيرها، وهذه الكتب كان لها فضلها وتأثيرها الإيجابي الكبير؛ كما كان لها تأثيرها السلبي"[1].

وفي مقال له عبر موقعه ذكر ما نصه:" هذه مرحلة جديدة تطور إليها فكر سيد قطب، يمكن أن نسميها "مرحلة الثورة الإسلامية"، الثورة على كل "الحكومات الإسلامية"، أو التي تدعي أنها إسلامية، والثورة على كل "المجتمعات الإسلامية" أو التي تدعي أنها إسلامية، فالحقيقة في نظر سيد قطب أنَّ كل المجتمعات القائمة في الأرض أصبحت مجتمعات جاهلية. تكوَّن هذا الفكر الثوري الرافض لكل من حوله وما حوله، والذي ينضح بتكفير المجتمع، وتكفير الناس عامة؛ لأنهم "أسقطوا حاكمية الله تعالى" ورضوا بغيره حكمًا، واحتكموا إلى أنظمة بشرية، وقوانين وضعية، وقيم أرضية، واستوردوا الفلسفات والمناهج التربوية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية وغيرها من غير المصادر الإسلامية، ومن خارج مجتمعات الإسلام.. فبماذا يوصف هؤلاء إلا بالردة

(١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ـ د. يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ سنة ٢٠٠١ م ـ صـ ١١٠.

عن دين الإسلام؟!"[1].

٢ـ شهادة الدكتور (محمد فريد عبد الخالق) – من أكبر قادة الإخوان– قال:" أمعنا فيما سبق إلى أنَّ نشأة فكرة التكفير بدأت بين شباب بعض الإخوان في سجن القناطر في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، وأنهم تأثروا بفكر الشهيد سيد قطب وكتاباته، وأخذوا منها أنَّ المجتمع في جاهلية، وأنه قد كفَّر حكامه الذين تنكَّروا لحاكمية الله بعدم الحكم بما أنزل الله، ومحكوميه إذا رضوا بذلك،.... إنَّ أصحاب هذا الفكر وإن تعددت جماعاتهم، يعتقدون بكفر المجتمعات الإسلامية القائمة، وجاهليتها جاهلية الكفار قبل أن يدخلوا في الإسلام في عهد الرسول عليه السلام، ورتبوا الأحكام الشرعية بالنسبة لهم على هذا الأساس، وحددوا علاقاتهم مع أفراد هذه المجتمعات طبقًا لذلك، وقد حكموا بكفر المجتمع لأنه لا يطبق شرع الله، ولا يلتزم بأوامره ونواهيه، ومنهم من قال بعدم كفر مخالفيهم ظاهريًا، وقالوا بنظرية (المفاصلة الشعورية)، فأجاز هذا الفريق الصلاة خلف الإمام الذي يؤم المصلين المسلمين في سجونهم ومتابعته في الحركات دون النية، وقالوا بعدم تكفير زوجاتهم، وأجَّلوا كفرهم على أساس نظرية (مرحلية الأحكام)، وأنهم في عصر الاستضعاف – أي: العهد المكي – بأحكامه التي نزلت إبانه، فلا تحرم المشركات ولا الذبائح ولا تجب صلاة الجمعة ولا العيدين ولا يجوز الجهاد، ويكفرون من لم يؤمن بفكرهم، وأخذوا ببعض أساليب الباطنية في (التقية)، ألا يذكروا أسرار معتقداتهم لغيرهم، ويظهرونها لخواصهم وأتباع فكرهم، وذلك عندهم ضرورة حركية، وطائفة تمسكت بالمفاصلة الصريحة، وكفَّرت مخالفيهم ومن كان

(١) موقع د. يوسف القرضاوي ـ مقالة بعنوان (كلمة أخيرة حول سيد قطب).

معهم، ومنهم جماعة الإخوان المسلمين ومرشدهم وآباؤهم وأمهاتهم وزوجاتهم، وهم جماعة (التكفير والهجرة)، الذين يسمون أنفسهم "جماعة المؤمنين"[1].

وبذلك فإن مصطلح الجاهلية الذي أحياه (قطب) لم نجد له قبولًا في أفكار الجماعات المعاصرة؛ اللهم إلا الجماعات التكفيرية التي اتخذتها منهجًا لتكفير المجتمعات واستحلال دماء أهلها كما سبق بيانه، ولم نجد عاقلًا واحدًا نادى به؛ أو أثنى على (قطب) في مصطلحه هذا، ويُعد هذا المصطلح في حقيقته مرادفًا أو منبثقًا عن مصطلح (الحاكمية) الذي يردده البعض في زماننا دون وعي.

وكما سبق بيانه: أن هذا المصطلح ترتب عليه التكفير والخروج على الحكام والقتل تحت زعم نصرة الدين، ناهيك عن رمي العلماء بالجهل، ومن ثمَّ كان هذا المصطلح -الجاهلية- هو أخطر مصطلح تلقفته الفرق التكفيرية وبخاصة الفرق التي ظهرت على الساحة المعاصرة كتنظيم القاعدة وداعش وغيرهما.

(١) الإخوان المسلمون في ميزان الحق ـ د. محمد فريد عبد الخالق ـ صـ ١١٥ ـ ١١٨.

وختامًا: فهناك بعض الأمور وددت أن أنبه عليها، وذلك من خلال ما توصلت إليه أثناء البحث من نتائج، لعل أهمها ما يلي:

١-إن الجاهلية هي فترة زمنية معينة، ويراد بها الجاهلية قبل الإسلام، وأمَّا قطب؛ فيصرح بأن الجاهلية ليست فترة زمنية معينة، وإنما حالة اجتماعية معينة ذات تصور معين للحياة لا علاقة له بزمان أو مكان، بل إذا وجدت تلك الحالة، وذاك التصور؛ كان دليلًا على وجود الجاهلية حيث كان، ومتى كان.

٢-إن الجاهلية انتقلت من مجرد فكرة عند سيد قطب ليعممها على المجتمع كله مخالفًا جمهور المفسرين وعلماء الأمة.

٣-إن الجاهلية لا تتعلق بمفهوم الحكم بغير ما أنزل الله، وإنما تختص بإنكار شرع الله وعدم قبوله.

٤-لا يجب تعميم الحكم؛ ليشمل الناس جميعًا لمجرد هوى أو لتعصب لفكرة لا يقوم عليها الدليل.

٥-يرى (سيد قطب) ومن نحا نحوه أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع من قرون كثيرة، ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة؛ لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى؛ فيُنكرون وجود أمة إسلامية منذ قرون كثيرة، وهو أمر لو يعلمون عظيم.

٦- هناك بعض المفاهيم الملتبسة على بعض المسلمين يتخذها التكفيريون ذريعةً لارتكاب أعمال العنف والإرهاب، ومنها مفهوم الحاكمية، وهي فكرة بدأت منذ الخوارج، قتلوا بموجبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- وكفروه، وبعد أن اندثرت عادت مرة أخرى على يد المودودي؛ ليحارب بها الإنجليز ثم على يد سيد قطب، ومن

بعده الجماعات الإرهابية.

٧-إن عبارة: "جاهلية القرن العشرين" لا تخلو من مبالغة في وصف القرن العشرين بها؛ إذ وجود الدِّين الإسلامي يمنع من القول بأن هذا القرن يمثل جاهليةً كالجاهلية الأُولى.

٨-إن "النظرية القطبية" يترتب عليها: تكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي، والدعوة إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة، والإزراء بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، وبذلك يظهر خطرها، ويستبين شررها.

٩-علماء الأزهر كان لهم الدور الأكبر في الرد على على فكر قطب وبخاصة الجاهلية القطبية، وتفنيد أصولها.

١٠-نتيجة لهذا الفهم المغلوط قامت الجماعات التكفيرية بقتل كثير من أفراد الشعب الأبرياء؛ تحت دعوى الجاهلية، وقد استهدفوا العلامة الأزهري المفسر الأستاذ الدكتور: الذهبي وزير الأوقاف؛ تحت زعم إقسامه على الدستور الكفري، وذلك بسبب تحريف المصطلحات عن معناها الأصلي

مصطلح الجاهلية القطبية لم يلق قبولًا عند كثيرين من علماء السلفية والإخوان، وذلك لمخالفته صريح القرآن، وصحيح السنة.

١٢- يجب على المؤسسةِ الأزهرية – راعيةِ الفكرِ الأشعري وحاضنةِ مذهبِهِ – أن تقوم بوضع مقرر لرد شبهات الجمعات التكفيرية؛ وأن يعتمد هذا المقرر على تراث مدارس المتكلمين من أهل السنة والجماعة، وبخاصة المدرسة الأشعرية.

وأخيرًا، أوصي بالعمل على عقد ورش عمل لتدريب شباب الوعظ والإفتاء ومعاوني أعضاء هيئة التدريس للمقدرة على الرد على شبهات الجمعات التكفيرية .

فهرس المصادر والمراجع:

- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، د. محمد فريد عبدالخالق، دار الصحوة، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط : السابعة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م .
- الاستبداد السياسي في ضوء الكتاب والسنة "الأسباب والعلاج"، عبد الحي يوسف، وهذه رسالة الدكتوراه التي أشرف عليها الدكتور الحبر نور الدائم، ط: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦ م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ.
- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، سنة ٢٠٠١ م .
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.
- التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين الرازي خطيب الري، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
- تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: شاكر، ط: الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ.
- تنوير المؤمنات، عبدالسلام ياسين، الناشر: مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، المغرب، ط: الأولى، ١٩٩٦م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، الناشر: دار الشروق، ط: الأولى، سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
- جريدة الرأي العام "الكويتية"، لقاء مع "أسامة بن لادن"، بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠٠١ م .
- الحاكمية المطلقة (شريط رقم ٢١٤) سلسلة التربية الجهادية، عبدالله عزام.

- حديث مع الإمام، الجمعة الثالث عشر من فبراير سنة ٢٠١٥ م، وهو برنامج أسبوعي لفضيلة الإمام الأكبر أ.د أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، يعرض عقب صلاة الجمعة على الفضائية المصرية.
- الحصاد المر، الإخوان المسلمون في ستين عامًا، أيمن الظواهري، نشر سرية الصمود الإعلامية، ط: الثانية، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، مايو ٢٠٠٥م.
- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو "جماعة المسلمين"، محمد سرور زين العابدين، برمنجهام، بريطانيا، دار الأرقم للنشر و التوزيع، ط: الثالثة، ١٩٨٨م.
- حوار أيمن الظواهري مع جريدة الشرق الأوسط، العدد رقم (٨٤٠٧)، بتاريخ: ١٩ / ٩ / ١٤٢٢هـ.
- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد إبراهيم الشيباني، مكتبة السداوي، ط : الأولى، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م .
- الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي، ترجمة : أحمد إدريس، ط: دار القلم، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م.
- رسالة بن لادن الأخيرة لأهل العراق، الجزيرة، بتاريخ : ٥ / ١٢ / ١٤٢٣هـ .
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، ط : الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- زمن الصحوة الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، ستيفان لاكروا، ترجمة :

عبدالحق الزمّوري، نشر الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط : الأولى، ٢٠١٢ م.

- شرح مسائل الجاهلية، صالح آل الشيخ، الشريط الأول، الوجه الأول .
- شرح مسائل الجاهلية، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، ط: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٥م .
- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، رسالة دكتوراه للمؤلف، بإشراف الأستاذ: محمد قطب، ١٤٠٥ هـ،، ١٤٠٦ هـ،، ط: دار الكلمة، ط : الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م .
- كتاب معالم في الطريق وهو دستور الإخوان المفسدين، مقال للشيخ: عبداللطيف السبكي، منشور بمجلة منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد الثامن في شعبان سنة ١٣٨٥ هـ، ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥م.
- فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، محمود شكري الألوسي، تقديم وتعليق: محب الدين الخطيب، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط : الأولى، ١٤٢١هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار النشر : دار الشروق، القاهرة، بدون تاريخ.
- لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت ط : الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت،

بدون ذكر طبعتها وسنتها .

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، البغوي الشافعي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط : الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- معالم في الطريق، سيد قطب، ط: دار الشروق، بيروت، والقاهرة، ط: السادسة، سنة ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
- ملة إبراهيم، أبو محمد المقدسي، نشر وتوزيع منبر التوحيد والجهاد، ١٤٣١ هـ.
- موجز تاريخ الدين وإحيائه، أبو الأعلى المودودي، ترجمة : محمد كاظم سياق، ط: دار الفكر الحديثة، لبنان، بيروت، ط: الثانية، سنة ١٩٧٦م، بتصرف واختصار.
- نقض الفريضة الغائبة، فضيلة الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق، فضيلة الشيخ: عطية صقر، هدية مجلة الأزهر، عدد المحرم سنة ١٤١٤ هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات (ابن الأثير)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- يا قومنا أجيبوا داعي الله"، بيان من تنظيم الدولة –(داعش)، أبو محمد العدناني، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة:١٥:٢٩ .